قصص من الحياة

قصص و مواقف واقعية من الحياة



للمهندس

ابراهيم بن عبدالرحمن آل كلثم الصيعري

قصص
من
الحـــــيـاة

قصص و مواقف واقعية من الحياة

للمهندس

ابراهيم بن عبدالرحمن آل كلثم الصيعري

ⓒابراهيم بن عبدالرحمن ابراهيم آل كلثم ، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل كلثم ، ابراهيم بن عبدالرحمن
قصص من الحياة - للمهندس ابراهيم آل كلثم الصيعري. / ابراهيم بن عبدالرحمن آل كلثم .- الدمام ، ١٤٤١هـ
٥٨ ص ؛ ..سم

ردمك: ٦-١-٥١-٢٠٥١-٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- السعودية - تراجم أ.العنوان
ديوي ٩٢٠,٥٣١ ١٤٤١/١٤١٢

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٤١٢
ردمك: ٦-١-٢٠٥١-٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

قائمة المحتويات

إهـداء

أهدي هذه القصص و المواقف التي كتبتها من حياة و واقع الناس
لجميع القراء وللناس كافة
فهي منهم وإليهم

مقــدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

تمر بنا في هذه الحياة أحداث وقصص نستخلص منها بعض الدروس والعبر، وخوفاً من ضياعها ونسيانها مع الوقت فقد ارتأيت جمعها وحفظها في هذا الكتيب الذي اسميته " قَصَصٌ من الحياة" منها ما وقفت عليه بنفسي ومنها ما استمعت إليه برواية صاحبه أو ناقله فصغتها كتابة لما فيها من فائدة.

وقد حرصت كل الحرص على نسبة الفضل لأهله ما استطعت إلى ذلك سبيلا، ولكن نزولاً عند رغبة الرواة لبعض من هذه الروايات والقصص لن يتم ذكر أسمائهم ليبقوا كالجندي المجهول يعمل ويضحي للصالح العام دون أن يعرف أحد من يكون، نسأل الله أن لا يحرمهم الأجر والمثوبة على ذلك.

القاضي و المتهم

القاضي و المتهم و وقفة إنسانية نبيلة

قصة حقيقية كتبتها من رواية القاضي الذي



تشرفت ذات يوم بزيارة أحد القضاة الفضلاء، فجرى بيننا حديث حول العدل والقضاء، فذكرت لفضيلة القاضي أنه كان قد جرى بيني وبين قضاة آخرين نقاش حول رؤيتي لدور القاضي لإحقاق الحق ورد المظلمة وليس الحكم فقط على نحو مما يسمع، فقد يكون أحد المتخاصمين أبلغ بحجته من صاحب حق أو من متهم بريء، فكان في رأيي أنه ينبغي أن يكون حياد القاضي بين المتخاصمين فقط، وليس بين الحق وضده، فيحتال لنصرة الحق متى ما عرفه أو غلب على ظنه.

ولنا أسوة وعبرة فيما فعل القاضي إياس بن معاوية بن قُرَّةَ المزني، المولود سنة ٤٦ للهجرة، لما ولِيَ القضاءَ جاءه رجلان يتقاضيان عنده، فادَّعى أحدُهما أنه أودع عند صاحبه مالا، فلما طلبه منه جحده، فسأل إياسُ الرجلَ المدَّعَى عليه عن أمر الوديعة فأنكرها، وقال : إن كانت لصاحبي بيِّنة فليأتِ بها، وإلا فليس له عليَّ إلا اليمين.

فلما خاف إياسٌ أن يأكل الرجلُ المالَ بيمينه التفت إلى المودِع، وقال له: في أيِّ مكان أودعته المالَ ؟ قال : في مكان كذا، قال: وماذا يوجد في ذلك المكان ؟ قال: شجرة كبيرة جلسنا تحتها، وتناولنا الطعام معًا في ظلِّها، ولما هممنا بالانصراف دفعتُ إليه المالَ، فقال له إياسٌ: انطلِق إلى المكان الذي فيه الشجرة فلعلَّك إذا أتيتها ذكَّرتك أين وضعت مالك، ونبَّهتْك إلى ما فعلته

به، فجعل المدَّعي يذهب إلى الشجرة، وأوهمَ المتَّهم أنه بريء، قال : ثم عُد إليَّ لتخبرني بما رأيت.

فانطلق الرجل إلى المكان، وقال إياس للمدَّعى عليه : اجلس إلى أن يجيء صاحبُك، فجلس، ثم التفت إياس إلى من عنده من المتقاضين، وأخذ يقضي بينهم، وهو يرقب الرجل بطرفٍ خفيٍّ، حتى إذا رآه قد ارتاحت نفسُه وكأنه صار بريئا، واطمأن، التفت إليه وسأله على عجل: أتقدِّر أن صاحبك قد بلغ الموضع الذي أعطاك فيه المال ؟ هل تقدِّر أنه وصل إليه ؟ قال له : لا إنه بعيد من هنا، فقال له إياس : يا عدوَّ الله تجحد المالَ، وتعرف المكان الذي أخذته فيه، واللهِ إنك لخائن، فبُهِت الرجل، وأقرَّ بخيانته، فحبسه حتى جاء صاحبُه، وأمره بردِّ وديعته إليه.

وهنا حكى لي فضيلة القاضي عن قضية وردت إليه وحكم فيها، فيقول فضيلة القاضي: قبل العيد بأيام أُتي إلي بشابٍ متهم بترويج المخدرات، وكان الشاب مُصِرَّاً على براءته وأنه ضحية لخديعة من أحد أصحابه، فيقول الشاب: أخبرني زميلٌ لي بأنه لن يكون موجوداً عندما يأتي صديقٌ له لاستلام علبة دواء من عنده، فطلب مني تسليمها له نيابةً عنه عندما يأتي لأخذها.

قبل الشاب برحابة صدر القيام بهذه الخدمة تقديراً للصداقة التي بينهما، وأخذ علبة الدواء ووضعها على التلفزيون وتركها هناك بانتظار وصول المستلم، وهكذا بعد فترة اتصل شخص على الشاب وأخبره بأنه من طرف فلان وأنه قد أتى لاستلام علبة الدواء، وطلب منه أن يقابله في المكان الفلاني، فأخذ الشاب علبة الدواء وتوجه بها إلى المكان الذي ينتظره فيه الرجل، وما إن تقابلا حتى أدى إليه الأمانة وهم بالإنصراف، غير أن الرجل أعطاه مبلغاً من المال، فرفض الشاب أخذ مقابل لخدمته صديقه.

أصر الرجل على أن يأخذ الشاب المال تقديراً له على ما بذله، وأمام هذا الإصرار من الرجل لم يجد الشاب بداً من أخذ المبلغ، وما إن هم بالإنصراف إلا وقد حاوطه رجال مكافحة المخدرات وتم القبض عليه بالجرم المشهود، فقد اكتملت أركان الجريمة من استلام وتسليم.

حضر والد ووالدة الشاب أمام القاضي، وأكد والده للقاضي بأنه بالفعل كان يشاهد العلبة موضوعة على التلفزيون، ولو كان يعلم ما بها لتخلص منها، وأضاف الوالد بأنه كان أحد رجال الجيش على الحدود وأصيب في الحرب إصابةً بالغة أعاقته عن الاستمرار في عمله فأُحيل للتقاعد، وأن إبنه هذا هو الوحيد من بين خمسٍ من البنات وأنه مُعينه الوحيد بعد الله.

لقد كانت كل الأدلة ضد الشاب، وأمه وأباه منهاران خوفاً على مصير إبنهما، حاول القاضي إفهامهما حقيقة الوضع وملابساته، وما إن بدأ فضيلة القاضي بتوضيح أن الأدلة جميعها تدين الأبن بالجرم المشهود، وما هو مقدار العقوبة المحددة في النظام التي يمكن أن يحكم بها عليه، حتى تغير لون وجه الأب إلى السواد وبدأ ينهار والأم بدأت دموعها تبلل خمارها وتتمتم بكلمات غير مسموعة، فلما رأى القاضي ما وصل إليه حال الأب خشي عليه من أن يتعرض لسكتة قلبية قد تتسبب له بإعاقة أو تودي بحياته، فبادر القاضي فوراً بتهدئة الوالد معطياً له الأمل ببراءة ابنه، وفي النهاية تولدت لدى القاضي القناعة وغلب على ظنه احتمال براءة الشاب وأنه قد خُدع من قبل صاحبه.

وعندها تذكر القاضي أننا على أبواب العيد وأسبوع العمل على نهايته، فعندما اجتمع القضاة لتداول الحكم في القضية، أقسم فضيلة القاضي بأنه يشعر بأن هذا المتهم قد خُدع ويجب أن لا يبات هذا الشاب يوماً واحداً في الحجز وأن يطلق سراحه بأسرع وقت، فقررت المحكمة إثبات إدانته وإيقاع العقوبة المقررة نظاماً مع وقف التنفيذ والإفراج عنه حالاً.

وما إن سمع والدا الشباب النطق بالحكم حتى خرت والدته ساجدةً شكراً لله وهي تبكي، بينما قام والده برمي غترته و احتضان القاضي بقوة وأجهش بالبكاء بصوت مرتفع، وبعدما هدأ قال: لقد علمت أن الله لن يخذلني، فقبل يومين من الجلسة أخذت عائلتي للعمرة لندعو الله ونطلبه أن يظهر الحق وأن يفرج عن ابني ما هو فيه، وفي الثلث الأخير من الليل التزمت أنا ووالدته استار الكعبة وعند الملتزم سألت الله أن يسخر لنا شخص لا نعرفه يكون

الفرج على يديه، فلم يخطر ببالي أن يكون هذا الشخص هو أنت ناظر القضية فاللهم لك الحمد.

وهكذا تم إطلاق سراح الشاب ليقضي العيد بين أهله وذوي، لتكتمل حكاية القاضي الفاضل مع الشاب المتهم، والتي استشعر القاضي فيها بإنسانيته براءة هذا الشاب فجزاه الله خير الجزاء.

الخلاصة

إن القضاء أمانة في رقاب القضاة ومن يحكم بين الناس، فبه تتعلق حياة أناس ومصالح آخرين، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن القضاة ثلاثة، إثنان في النار و واحد في الجنة، فأما الذيّن في النار فهما قاضي قضى بين الناس بغير علم و قاضي علم الحق ولم يحكم به، وأما الذي في الجنة فهو القاضي الذي علم الحق و حكم به' ولذا لا بد للقاضي من أن يجتهد لإحقاق الحق ويحتال له ولا يكتفي بظاهر الأمر ونحو مما يسمع فقط.

صنائع الرجال



هذه القصة كتبتها من رواية الأستاذ عبدالله بن الماس البلوشي

في لقاء الزملاء الأسبوعي (الثلوثية) روى لنا أحد الزملاء وهو الأستاذ عبدالله بن الماس البلوشي (ابو خالد) قصة جميلة تتجلى فيها معاني الرجولة، فطلبت منه تسجيلها في مقطع فيديو ونشره للفائدة، غير أنه اعتذر عن ذلك فرأيت أن أكتبها واخترت لها عنوانا باسم "صنائع الرجال" مع حفظ حقه في ذلك.

بدأ أبو خالد القصة بقوله: كان هناك زملاء عمل في المنطقة الشرقية، وفي يوم من الأيام قرر أحدهم الزواج، فدعا زملائه لحضور زواجه بين بني عمومته وقبيلته في قريتهم الواقعة بعد العاصمة الرياض بمسافة.

استجاب الزملاء لدعوة زميلهم وتوجهوا في اليوم المحدد لحضور زواج زميلهم استجابةً للدعوة و لأداء الواجب، استقبلهم العريس بمنتهى الحفاوة والتكريم ، وكم كان مسروراً بحضورهم.

وأثناء تواجدهم بالحفل لاحظ الضيوف أمراً مستغرباً جداً بالنسبة لهم، إذا لاحضو شخصين ينظران إليهم شزرا بينما يتطاير الشرر من أعينهما، حاول الضيوف تجاهل هذه النظرات والتصرف بشكل طبيعي، فما هي إلا بضع ساعات وينتهي الحفل وكلٌ يذهب في حال سبيله.

وبينما هم على تلك الحال إذ أتى إخوة العريس وبعض أبناء عمومته وجلسوا إلى جانب الضيوف وبقوا ملازمون لهم طيلة مدة الحفل، وعندما انتهى الحفل أصروا على مرافقة الضيوف حتى إيصالهم إلى منطقتهم التي أتوا منها، وأمام هذا الإصرار الشديد لم يكن أمام الضيوف بداً من القبول بذلك.

وبينما الضيوف ومرافقيهم من أقارب العريس في طريق العودة، حرص الضيوف على معرفة السبب وراء كل ذلك، فسألوهم عما إذا كانوا قد انتبهوا

للأشخاص الذين كانوا ينظرون إليهم بنظرات مريبة ؟ ، فأجابوا بالتأكيد، وهنا أخبروهم بالحكاية.

وتتلخص الحكاية بأن هؤلاء الأشخاص لما رأوا الضيوف عرفوهم وأخبروا العريس بأنه سبق وأن حدثت مضاربة بين الطرفين تمكن الضيوف فيها من هؤلاء الأشخاص وأنهم ينوون الانتقام منهم وقد أتى بهم الله.

لما سمع العريس الحكاية قال لهم مستنكراً: كيف تفعلون هكذا مع ضيوفي وهم الذين أتوا من بعيد تقديراً لي، وأخبرهم بأنه لن يسمح بذلك أبدا وأنهم سيكونون في حمايته، وخوفاً من أن يتربصوا بهم في طريق العودة طلب من اخوته وبني عمه مرافقتهم حتى يصلوا سالمين غانمين.

أخذ الضيوف بالاستعلام عن أولائك الأشخاص وأخذوا معلومات كافية عنهم بما فيها من هم وأين مسكنهم، وبعد أن مروا بالعاصمة الرياض في طريق عودتهم استأذن الضيوف من مرافقيهم وأخبروهم برغبتهم المبيت في الرياض وأنه بإمكان مرافقيهم العودة إلى قريتهم مشكورين.

بات الضيوف في الرياض تلك الليلة، وما أن أشرقت الشمس من صباح اليوم التالي حتى قفلوا عائدين أدراجهم إلى تلك القرية التي كانوا بها البارحة لحضور مناسبة زفاف زميلهم، وما إن وصلوا القرية حتى توجهوا مباشرةً إلى منزل والد غرمائهم.

استقبلهم والد غرمائهم وهو لا يعرف منهم هؤلاء الضيوف الذين نزلوا بداره، فبادره الضيوف بالتعريف بأنفسهم وأخبروه بما جرى بينهم وبين أبنائه، وقالوا له في موقف رجولي بأنهم لا يريدون أن يكونوا سبباً لوقوع خلاف بين أبناء العم، وأبدوا استعدادهم لتمكين أبنائه من أنفسهم لأخذ ما يرونه حقاً لهم، وهنا قال والد غرمائهم: حسناً سوف استدعيهم للاقتصاص وأخذ حقهم.

جلس الضيوف عند والد غرمائهم بانتظار مقدم أبنائه ليفعلوا به ما يطفئ نار غضبهم ويتم اسدال الستار على هذه القضية، ولما وصل الأبناء قال لهم

والدهم هؤلاء هم غرمائكم وقد أتوا بأنفسهم فخذوا حقكم منهم، وهنا قال الأبناء نعم سنأخذ بحقنا وحقنا هو أن يأكلوا وليمتهم إكراماً وتقديراً لهم في موقف رجولي آخر، ولعله تم بحكمةٍ وتدبير من الشايب، فمن يدري ؟ !!!.

الخلاصة

ما أجمل النفوس العظيمة والموقف الرجولية التي تبرز في أحلك الأوقات وأشد اللحظات صعوبة.

شهامة رجل

قصة حقيقية تعبر عن معادن الرجال



قال رسول الله ﷺ : انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكيفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ.

وعندما رأيت كثيراً من الناس قد تخلوا عن نصرة صاحب الحق مجاملةً لصاحب الباطل في هذا الزمن الذي قل فيه من يقدم المبادئ على المصالح تذكرت هذه القصة الحقيقية التي كنت ممن وقف على أحداثها، فأحببت أن أشاركها مع أحبابي وقرائي الكرام لما فيها من درس وفائدة.

حدث ذات يومٍ أن علم صديقٌ بحال صديقه والضائقة المالية التي هو فيها بسبب الديون التي اجتمعت عليه حتى أنه أصبح معرضاً للسجن في أي وقت، فعرض ذلك الصديق على صديقه قرضاً حسناً يفرج به ضائقته، وبعد تردد في قبول القرض قطع الصديق المدين وعداً لصديقه صاحب المال بإعادته خلال شهر واحد كونه يطلب شخصاً آخر وموعود بالسداد خلال شهر على حسب قوله.

مر الشهر ولم يحدث شيء، فلا الصديق المدين أوفى بوعده لصديقه صاحب المال ولا هو قدم له شيء من العذر يبرر به عدم وفائه بوعده، وخجل صاحب المال من السؤال على أمل أن تأتي المبادرة من صاحبه المدين.

استمر الحال على هذا النحو عدة سنوات كانت تجمعهم خلالها مناسبات مختلفة دون أن يتكلم أحدهما بالموضوع، فصاحب المال يخجل من صاحبه المدين ويكن له كل احترام.

مضت عدة سنوات على هذا الحال، ولما طالت المدة حتى دخلت في عامها السابع دون أن يحرك الصاحب المدين ساكناً، واحتاج صاحب المال لماله لظروف عنده اضطر لأن يطلب السداد من صاحبه المدين الذي أخذ يماطل ويقطع الوعد تلو الوعد، فإن كان الكلام في أول الأسبوع وعده بالسداد على آخره، وإن كان الكلام في آخر الأسبوع وعده بالسداد في أول الأسبوع الذي يليه وهكذا ... ، وفي كل مرة يحين الموعد ويذهب دون وفاء ولا اعتذار.

مضى ما يقارب الشهرين على هذا النحو، فأيقن صاحب المال بعدم جدية صاحبه بالوفاء بالرغم من أن صاحب المال قد أوضح له الظروف التي لديه والأسباب التي دعته لطلب السداد في ذلك التوقيت.

وهكذا قرر صاحب المال اللجوء للمقربين لعله أن تكون لهم وقفة بالنصح للصاحب المدين لأداء ما عليه أو الضغط عليه إن اقتضى الأمر، فلما التجأ إلى الأقربين لعله يجد منهم العون تخلوا وآثروا الحياد حرصاً على عدم زعل المدين.

عند ذلك اضطر صاحب المال للذهاب إلى صاحب مشترك للطرفين، مع أنه ليس من المقربين، لما توسم فيه من القيم والمبادئ رحمه الله، فكانت له وقفة ومقولة، إذ استغرب من تخليهم عن نصرة الحق وأبدى استعداده للتحدث مع الصاحب المدين والشهادة بالحق إن استدعى الأمر ذلك وقال: أخشى أن ينقطع المعروف بين الناس، ولم يفكر حينها في زعل صاحبه المدين، فالحق أحق أن يتبع، وبالفعل ذهب لصاحبه المدين وتحدث معه.

بعد ذلك ذهب صاحب المال إلى صاحبه المدين لعله أن يكون قد استعاذ من الشيطان ورجع إلى لحق تجنباً للاحتكام للقضاء، فكان ما هو أدهى وأمر، إذ قال الصاحب المدين لصاحب المال: اذهب فاشتكي، الله لا يكثر خيرك، فضحتني !!!، فكان قوله وفعله هذا كجزاء سِنِمَّار في قصة المثل المشهور.

عندها لم يكن هناك بداً من أن يلجأ صاحب المال إلى القضاء ليستوفي ما له في ذمة صاحبه، لم تطل القضية فقد يسرها الله ولم تحتج إلى شهود،

فالقرض تم من خلال شيكات مصرفية كانت كافية لإثبات الحق، ولكن من الأمور العجيبة التي حصلت في هذه القصة ما يلي:

الأمر الأول: أن الصاحب المدين أمسك برأس صاحب المال يقبله ويقول له لا تسجني.. لا تحرمني من عيالي، وهو الذي كان يقول: اذهب اشتكي، الله لا يكثر خيرك، فضحتني !!!، فيا سبحان الله، ويا لله العجب.

الأمر الثاني: أن أحد الأقربين الذين تخلوا في البداية رحمه الله حاول التدخل في النهاية كي يقبل صاحب المال بتأجيل جزء من الدَّين مراعاة لما أظهره الصاحب المدين من عجزه عن دفع كامل المبلغ مرة واحدة، فرفض صاحب المال هذه الوساطة وانتهى الأمر باستيفائه حقه كاملاً.

الأمر الثالث: أن صاحب المال بعد أن استوفى حقه ذهب في اليوم التالي لتناول الغداء عند صاحبه المدين تعبيراً منه عن أن الخلاف قد انتهى، فاستقبله الصاحب المدين ولكن بقي في نفسه شيء يظهر على وجهه كلما تقابلا حتى زال ذلك مع مرور السنين.

الخلاصة

نستخلص من هذه القصة أن الرجال مواقف ومعادن وأن معادن الرجال لا تظهر إلى عند الشدائد و في المواقف الصعبة.

حوار مع سائق أجره

لأجل جيل الشباب الذي يقف على مفترق الطرق في بداية مشوار حياته العملية، أنقل لكم هذا الحوار الحقيقي لعله يجد فيه ما يعينه على اتخاذ القرارات الصحيحة.

بدايةً فإنه في أحد الأيام قمت بطلب سيارة أجرة لإيصالي إلى المنزل عبر تطبيق الهاتف الجوال لإحدى الشركات العاملة في المملكة، وخلال بضع دقائق كانت السيارة قد وصلتني لِتُقلني من مطار الملك فهد حيث كنت، فبدا لي قائد المركبة شاباً في مقتبل العمر.

صعدت إلى السيارة وانطلقنا، وبعد أن تعرفت على السائق عرفت منه أنه ليس من أهل المدينة التي أقيم فيها وأنه قدم إليها من مدينته التي تبعد عنها ما يربو على ١،٣٠٠ كلم لأجل طلب الرزق فقط، فبادرته بسؤالٍ حول ما إذا كان هذا هو عمله الوحيد أم أنه عملٌ إضافي، فأجابني بأنه عمله الوحيد.

قلت له بأن في عمله هذا خير وبركة وتمنيت له أن يكون دخله من هذا العمل مناسباً، فحمد الله وقال بأن دخله اليومي يقع ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال مما يعني أن دخله الشهري يتراوح ما بين ١٢ إلى ١٥ ألف ريال، فقلت له ما شاء الله تبارك الله، إن هذا الدخل يفوق دخل بعض الموظفين فالحمد لله.

ومن خلال حديثه عرفت بأنه يبحث عن عمل رسمي، فسألته عن مستواه التعليمي، فأجابني بأنه يحمل الثانوية، فقلت له لماذا لا تكمل دراستك فأنا أعرف أناساً توقفوا عن الدراسة بعد المرحلة المتوسطة والتحقوا بالعسكرية ثم بعد ذلك أكملوا دراستهم، فأجاب وهو يضحك من نفسه قائلاً بأنه لا يهوى الدراسة وبالكاد أنهى دراسة المرحلة الثانوية، غير أنه أقر بخطئه في ذلك وما ترتب عليه.

عندها أحببت أن أوجه نصيحة لهذا الشاب فقلت له ناصحاً: عليك بحسن التصرف بالمال الذي تشقى في سبيل كسبه وعدم إضاعته بصرفه فيما لا

فائدة منه، فهناك من الناس من كان لديه دخل عالٍ غير أنه لم يحفظه حتى إذ احتاجه لم يجده.

أخذ الشاب يحدثني عن حياته وحياة أسرته وماذا يفعل كي لا يضيع ما كسبه من عمله فيما لا يعود عليه بالنفع، فعرفت أنه غير متزوج وأن والديه متوفين رحمهما الله وأن عددهم أربعةٌ من الإخوة الذكور وأربعٌ من الأخوات، تزوج منهن ثلاث بنات وبقيت واحدة، وقال لي ممازحاً: نزوجك إياها يا شايب ؟ ، يقصد أخته الرابعة، مردفاً بأنها ترعى الأبل وتجيد الرماية وتقود سيارة الماء (التانكر)، فقلت له هذه أحسن مني وقد تعودت على حياة البداوة فلن تستطيع أن تعيش عيشة الحضر.

و استشهدت له بقصة ميسون بنت بحدل الكلبية التي تزوجها معاوية بن أبي سفيان قبل خلافته فهيأ لها ما يشبه القصر في ذلك الزمن، وزفت إليه من البادية فانتقلت من عالم الصحراء إلى ذلك القصر الذي لم تدخله في حياتها فكانت نقلة كبرى وقفزة مهولة بالنسبة لهذه الفتاة البدوية التي اعتادت حياة البرية، لم تكد ميسون تدخل هذا القصر الفخم وتستقر فيه والوصائف والخدم يخدمونها ويلبون لها كل ما تشتهي حتى حنت إلى البادية مربع صباها وطفولتها فما كان من الأميرة ميسون إلا أن ترجمت مشاعرها وأحاسيسها التي كانت تكنها في صدرها بأبيات شهيرة تقول فيها:

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إليّ من قصر منـــــيف
ولبس عباءة وتقر عيني ... أحب إلى من لبس الشـــفوف
وأكل كسيرة من كسر بيتي ... أحب إلي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج ... أحب إلي من نقر الدفـــوف
وكلب ينبح الطراق دوني ... أحب إلي من قط ألـــــــيف
وبكر يتبع الأظعان صعب ... أحب إلى من بغل زفــوف
وخرق من بني عمي نحيف ... أحب إلى من علجٍ علوف

فأكد لي صحة قولي مستشهداً بمثله وأن أخته بالفعل ترفض أن تبتعد عن إبلها.

المهم أنه ذكر لي بأنه وإخوته الأربعة يعملون ويساهمون في النفقة على البيت وكذلك فإنهم حالياً يقومون ببناء عمارة مكونة من أربع شقق لهم في مدينتهم، لذا فإن صاحبنا الشاب قائد المركبة يرسل لهم مبلغاً شهرياً عن حصته من المساهمة في التكاليف، وهنا مربط الفرس، فما دعاني لكتابة هذه القصة عن هذا الحوار إلا ما أورده من كلام في تعليقه على نصيحتي له.

وفي الختام سألته هل تنوي الاستقرار هنا أم تنوي العودة إلى مدينتك فأجاب بأنه سيطول به المقام هنا وأنه يبحث عن وظيفة رسمية ...

الخلاصة

١. محل الإنسان حيث يكتب الله له الرزق مهما بعدت المسافة

٢. إذا لم تجد وظيفة فأبواب رزق الله واسعة، اسعى إليها واصدق النية وسوف يرزقك الله بما لم تحتسب ومن حيث لم تحتسب

٣. إن كان دخل الوظيفة لا يكفي الحاجة أو لا يحقق طموحات المستقبل، فمن الضروري استغلال أوقات الفراغ لتحقيق دخل إضافي

٤. لا تجعل توقفك عن المسير في الطريق الصحيح يدوم بل اعتبره استراحة محارب

٥. العمل الجماعي وخصوصاً بين الإخوة يحقق ما ليس بإمكان الأفراد متفرقين تحقيقة

صاحب البسطة

قصة قصيرة وعبرة كبيرة



في يومٍ من الأيام كنت في زيارةٍ لعمي رشود رحمه الله للسلام عليه في دكانه الواقع في مجمع آل ثاني بسوق مدينة الدمام في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وبينما أنا جالس معه في دكانه نتجاذب أطراف الحديث، إذ برَجُلٍ يدخل علينا ومعه طفلٌ أو طفلان (لا أذكر)، وكانت تبدو على الرجل وأطفاله من منظر ملابسهم ما يشير إلى قلة ذات اليد، سلم الرجل على عمي سلاماً حاراً يدل على سابق معرفة بينهما ثم سلم عليَّ.

في بادئ الأمر وقع في بالي أنما أتى هذا الرجل إلى عمي لطلب المعونة والمساعدة، غير أنه بعد السلام والسؤال عن الأحوال انصرف الرجل من غير أن يطلب شيئا مما أثار استغرابي، ولكن استغرابي لم يطل كثيراً إذا أخذ عمي رشود رحمه الله يحدثني عن قصة هذا الرجل.

ذكر عمي رشود رحمه الله أن هذا الرجل وأخاً له بدأوا حياتهم العملية بالتجارة من خلال بسطة بسيطة كانا يبسطانها في مقابل دكانه، وشيئاً فشيئاً تحسنت أوضاعهم المالية إلى أن تمكنوا من استئجار الدكان المقابل لِدكان عمي.

وهكذا استمر الأخوان بالعمل الجاد وبذل الجهد، وأخذت تجارتهم تنمو وتنمو حتى تجاوزا عمي بمراحل، فانتقلا وفتحا معرضاً جديداً في شارع خالد بالخبر وهو من أغلى وأهم الشوارع التجارية في مدينة الخبر وعلى مستوى المنطقة الشرقية.

ولكن كم هي غريبةٌ هذه الدنيا فكثيرٌ ما تتقلب بأحوال أهلها، فكم من عزيز قومٍ ذل وكم من وضيعٍ عز، وهكذا مرت فترة من الركود الاقتصادي فقد معه شارع خالد ذلك الزِّخم في تلك الفترة مما تسبب بخسائر كبيرة للتجار

وأصحاب المحلات فيه خصوصاً مع ارتفاع إيجاراته، فكانت النتيجة أن خسر الإخوان كل تجارتهم وحصاد سنينهم وتعبهم وشقائهم فعادوا كما بدأوا.

وحقيقةً ما أجمل أن يكون المرء متكلاً على الله مؤمناً بقضائه وقدره خيره وشره، لقد كان صاحبنا هذا مثالاً تجسدت فيه هذه المعاني النبيلة، فعندما انكسر مادياً لم ينكسر نفسياً ولم تُزيف له نفسه صفات يترفع بها من العودة إلى بسطته القديمة ليبدأ من جديد، وهكذا ختم عمي قصة هذا الرجل المؤمن المكافح.

وبعد فترة من الزمن ذهبت لسوق الخميس الشعبي في مدينة القطيف، فوجدت صاحبنا يبيع أحذية كانت تبدو وكأنها من بقايا بضائع التجار، اكتفيت بمشاهدته من بعيد وتمنيت له التوفيق من أعماق قلبي، وقصصت قصته على أهلي لما فيها من عبرة.

الخلاصة

وقفة تأمل: لماذا يتكبر بعض الناس على طلب الرزق من مهنة بسيطة عندما لا يجدون غيرها كبائع البسطة هذا.

وقفة تأمل: ليس هناك مستحيل على الله، أنظر كيف قد يبلغ القمة بتوفيق الله من يبدأ صغيراً ما دام متكلاً على الله وجاداً ومجتهداً في بذل الأسباب التي أمره الله بها.

وقفة تأمل: نرى من خلال هذه القصة كيف أن الله يبدل من حال إلى حال وكيف قد يسقط من بلغ القمة ليعود إلى القاع من حيث بدأ، فيا ترى كم من إنسان يملك القدرة على تحمل مثل هذا السقوط دون أن ينهار نفسياً ومعنوياً.

وقفة تأمل :عندما تسقط لا قدر الله فلا تستسلم وابدأ من جديد، فليس كل من يسقط يستسلم عندما تجري الرياح بما لا يشتهي، بل إن هناك من يعاود الكرة آخذاً بالأسباب متكلاً على الله مؤمناً بأن الحياة لا تدوم على حال وأن من أعطاك أولاً ثم أخذ منك قادراً على أن يعطيك مرةً أخرى.

سؤال جريء وجواب موفق

قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ

وقال رسول الله ﷺ :فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ

ذلك لأن إبليس عليه لعنة الله لا يستطيع أن يلبس على العالم بينما ربما لبس على العابد الجاهل.

و إن ما دفعني للكتابة حول هذا الموضوع هو مشاهدتي لمقطع فيديو انتشر لشاب و هو يتحدى الله جل جلاله قائلاً ما معناه: إن كان لك وجوداً فأثبت ذلك بقبض روحي في هذه اللحظة.

إن قوله هذا يعبر عن تساؤلات دارت في خلده قبل أن يخلص إلى هذه النتيجة، وكثيرٌ ما تخطر ببال الواحد مِنَّا اسئِلَةٌ واستفسارات، وفي أحيان كثيرة قد لا نجرؤ على طرح تساؤلاتنا، وذلك لأسبابٍ متعددة قد يتعلق بعضها بشخصية الواحد ومدى ثقته بنفسه ومدى شعوره بالرهاب الاجتماعي عندما يفكر في طرح السؤال، بالرغم من أنه قد يُبنى على طرحه من عدمه قرارات مصيرية بالنسبة له.

فأحياناً نصادف أشخاص قد انحرفوا في مسيرتهم الدينية أو الدنيوية، لا لشيء سوى أنهم افترضوا من ذات أنفسهم إجابات على تساؤلات تدور بخلدهم ولم يستشيروا من يملك الإجابات الصحيحة لتلك التساؤلات.

ولعل من أكثر تلك الأمور التباساً على الناس ما يتعلق بالأمور الغيبية والمعتقدات الدينية، والغريب في الأمر هو أن الإنسان غالباً ما يلجأ لأصحاب الاختصاص في كافة المجالات الطبية والاقتصادية والقانونية وغيرها، ولكن عندما يتعلق الأمر بأمور تقود إلى جنةٍ أو نار يجعل من نفسه خبيراً بلا خبرة، فما كان لخبيرٍ أن يكون خبيراً قبل أن يبذل الجهد والوقت للإطلاع الواسع على ما يريد أن يكون به خبيرا.

وكإجابة بسيطة ومبسطة على ما قد يكون دار في خلد ذلك الشاب صاحب المقطع الذي يتحدى فيه رب العزة والجلال، أقول:

أولاً: إن وجود الله ثابت وإن لم نراه بأعيننا، فما أكثر الأشياء من حولنا التي نعلم بوجودها ولا نراها بل وقد لا نلمسها ولا نسمعها ولا تدركها أي من حواسنا الخمس، فعلى سبيل المثال عندما يجلس أحدنا في مكان هادئ لوحده فإنه لا يسمع ولا يرى شيء، ولكن عندما يأتي بجهاز المذياع أو التلفزيون فإنه يرى ويسمع ما كان موجوداً معه ولم تدركه حواسه، وكذلك هناك أمور أخرى ندرك وجودها من خلال أثرها دون أن نراها، ولعل الكهرباء إحدى تلك الأمثلة الجيدة على ذلك، فمن منا قد شاهد الكهرباء ؟ !!!، بينما يقر الجميع بوجودها لما يلمسونه من آثارها التي لا يختلف عليها إثنان، وقد أدركت ذلك أعرابية ببساطتها حينما قالت: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير ؟.

ثانياً: إن الله سبحانه وتعالى هو من يتحدى جميع من في الكون وليس البَشَر فقط، ناهيك عن صاحب المقطع، فالله جل جلاله قد حدد لكل نفس أجل لا تتقدم ولا تتأخر عنه مهما فعلت أو حاولت ولو استعانت بكل وسائل العلم والعلماء، فمن يريد حقاً أن يتحدى الله فعليه بكل بساطة حينما يحين أجله أن يدفعه ويؤجله أو يمنعه بشكل كلي، كما أن التحدي من الضعيف للقوي غير مقبول، فكما يروى أن فأراً تحدى أسداً أن ينازله مدعياً بقدرته على التغلب على الأسد، فما كان من الأسد إلا أن تجاهله، لأنه ليس بحاجة لإثبات من هو الأقوى.

وبهذه المناسبة تذكرت موقفا حصل معي في عام ١٩٨٣ م ، حيث كنت في حينها قد عدت للتو من البعثة الدراسية وكنت لا زلت في مقتبل العم،ر ما يقارب الـ ٢٤ عاماً.

ففي أحد الأيام عندما كنت في العمل، كان يدور في خلد مدير الإدارة، حيث كنت أعمل، سؤال من نوع الأسئلة التي تحدثنا عنها في مقدمة هذه المقالة، ولعل ما شجعه أن يطرح السؤال علي أمرين: الأول حداثة سني مما رفع

معه الحرج بالنسبة له، والثاني أنه كان يرى فيني ما لم أكن أراه في نفسي من الثقة، حتى أنه قال لي ذات يوم: لا تقلل من قدراتك، فكانت كلماته هذه دافعاً لي لإعادة تقييم نفسي.

أما سؤاله فقد كان يتعلق بقدرة الإنسان على تقديم أو تأخير الأجل ضارباً المثل بأنه يملك الاختيار في تحديد الوقت الذي يريد قتل نفسه فيه تقديماً أو تأخيراً، فألهمني الله إجابةً مقنعةً أقر من فوره بصحتها وأيدني بمثالٍ آخر من عنده.

لقد كانت إجابتي قمة في البساطة والوضوح، حيث قلت له: أنت تملك السبب ولا تملك النتيجة، فبينما بإمكانك طعن نفسك أو حرق نفسك، فإنه ليس بإمكانك أن تضمن وفاتك نتيجةً لفعلك، وضربت له مثلاً بشاب مصري كان والده مؤذن للجامع في ميناء سعود بلغني أنه قام بإحراق نفسه ولكن أجله لم يحن فلم يكتب الله له الوفاة التي أرادها لنفسه وأخذ بالأسباب لتحقيقها.

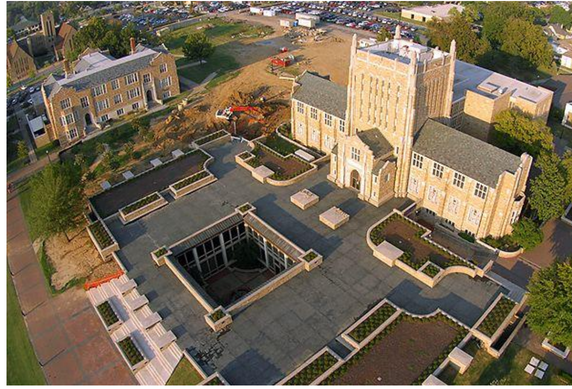
فما كان من المدير إلا أن زال عنه اللبس وأقر بصحة ما قلت وضرب لي مثلاً آخر يؤكد صحة قولي، حيث ذكر بأنه يعرف شخصاً لا يريد كثرة الأبناء فجعل لذلك خطة وامتنعوا عن الإنجاب لفترة، فلما حملت زوجته حملت بتوأم، وهكذا لم تكن النتيجة بيدهم على الرغم مما فعلوه لتحقيقها.

الخلاصة

مهما فعل الإنسان من الأسباب فإن النتيجة دائما وأبداً بيد الله وحده سبحانه وتعالى وليست مرتبطة بالأسباب إلا أن يشاء الله ذلك.

استاذي اليهودي

قبل نحو ٣٥ عاماً من كتابة هذه المقالة، كان أحد الدكاترة الذين درسوني في مرحلة البكالوريوس في جامعة تلسا بالولايات المتحدة الأمريكية يدعى د. هاولي، كان د. هاولي يهودياً غير أنني أعتقد بأنه يهودي علماني ، وكان د. هاولي رجلاً مسنناً في الثمانينات من عمره على حسب تقديري في ذلك الحين، وكان طبيباً منصفاً عالماً في عدة مجالات علمية منها: الرياضيات والفيزياء والفلسفة وعلم الفلك.



درست عنده عدة مواد منها الفيزياء والفلسفة وعلم الفلك، وفي ذات يوم أثناء دراسة مادة الفلك، أخذنا إلى خارج الفصل ليلاً ليشرح لنا على الطبيعة بالنظر مباشرةً إلى النجوم في السماء، وحينها التفت نحونا نحن الطلبة العرب قائلاً، إن آبائكم هم من وضعوا أساس هذا العلم.

وفي ذات يومٍ مررت بمكتبه لاستفسر عن بعض الأمور المتعلقة بإحدى المواد التي كنت أدرسها عنده، فاستوقفني ليحدثني حول أمر يتعلق بالمعتقد الديني، فقال مستنكراً: لا أعتقد بأن البحر تجمد لموسى لأنه ضربه بعصاه، ولكن لأن ريحاً باردة هبت في حينها، وبطبيعة الحال كان كلامه هذا غير صحيح حيث أن البحر انفلق ولم يتجمد كما في قوله تعالى: فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ [الشعراء : ٦٣]

ولكنني للأسف الشديد فضلت مسايرة الدكتور وعدم الإطالة في النقاش ولعلي أخطأت في ذلك، فلربما كانت فرصتي لأدعوه إلى دين الله الحق، فقلت له متسائلاً: ومن ذا الذي خطط لتلك الريح لتهب في تلك الساعة ؟ ، فأجاب بقوله: الله، وهكذا انتهى النقاش ولم يعد هناك ما يقال.

لقد وقع في بالي في حينها أن د. هاولي كرجل علم أراد أن يُخضع الأمر للقوانين العلمية في حدود ما يستطيع العقل إدراكه، مما بدا لي معه بأنه لم يكن قادراً على استيعاب الأمر كإعجاز رباني بالرغم من إيمانه بوجود الله، يتضح ذلك من إقراره بأن الله هو من أمر الريح بأن تهب في ذلك الزمان والمكان.

الخلاصة

العبرة من هذه القصة هي أنه مهما بلغ الإنسان من درجات العلم وحاول أن يجعل قدرة الله محدودة بحدود علمه أو يجعل العِلم إلهه والعقل المجرد وسيلته، فلن يصل إلى حدود عِلم الله جل في علاه القائل في محكم التنزيل: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ [المدثر : ٣١]

في طريق العودة من المطار

لم يخطر ببالي أنني سأكتب هذه القصة ولكنها ظلت تحوك في صدري حتى أخرجتها وأنا لا زلت أتعجب ألا يزال بيننا من يفكر بهذه الطريقة !!! .

وللمعلومية فإن الهدف من كتابة هذه القصة لم يكن الانتقاص من بطل هذه القصة بأية حال، فهو يحتاج إلى النصح والتوجيه شأنه شأن الكثير منا، ولكن يا ليته يسمع النصح لكان والله أحب ما إلينا، فالله ندعو أن يصلح حال كل مسلم.

كم هي الحياة مليئة بالغرائب والمفاجآت وأنواع البشر والعقول والطبائع، ولا أخفيكم سراً إذا قلت لكم بأنني قد تفاجأت بهذا الموقف على بساطته حيث أنني لست معتاداً على التعامل مع مثله فقد أعتدت التعامل مع المثقفين و المتحضرين في أساليب تعاملهم، وسوف أدخل في الموضوع مباشرةً كي لا أطيل عليكم أكثر من ذلك.

عند عودتي وإثنين من زملائي، حسين الحبيش (أبو طلال) و محمد السحمان (أبو فيصل) إلى أرض الوطن كنا محملين بعدد من قطع العفش أكثر مما يمكن لسيارة صغيرة أن تستوعبه، لذلك حاول أبو طلال طلب سيارة كبيرة عن طريق تطبيق "أوبر Uber" ، ولكن للأسف الشديد كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل فلم نجد سيارة مناسبة.

وبينما نحن كذلك وإذا بصاحب سيارة بكب (حوض وغمارتين) يعرض علينا خدماته، فتم الاتفاق معه على إيصال كل منا إلى منزله في ثلاثة أحياء متفرقة تم ترتيبها في مسار مناسب، بحيث يكون أبا فيصل أول من يصل إلى منزله بينما أكون أنا آخرهم.

كان السائق شاباً في منتصف العمر على ما يبدو ولم يظهر عليه أي شيء غير طبيعي بادئ ذي بدء، فقد كان مبادراً للمساعدة في تحميل العفش، إلى هنا والأمر بدا طبيعياً، ولكن ما إن ركبنا حتى بدأ الحال بالتغيُّر.

أصر زملائي على أن أجلس في المقعد الأمامي بجوار السائق، بينما جلسا في المقعد الخلفي، وعندما أردت ربط الحزام وجدته مشدوداً بقوة ولا يتحرك قيد أنملة وكأنه قد تم تثبيته بشيء ما، فلما لاحظ السائق محاولتي ربط الحزام، أفتانا بأن الله هو الحافظ، عندها حاول أبو طلال التوضيح له عن مدى أهمية ربط الحزام وأنه من الأسباب التي ينبغي الأخذ بها، إلا أنه أظهر عدم الإكتراث.

وما إن بدأ في التحرك بالمركبة حتى شغل الأغاني الشعبية وانطلق بسرعة عالية يريد أن يصل إلى سرعة ١٨٠ كلم، فطلب منه أخونا أبو فيصل الالتزام بالسرعة المحددة ١٢٠ كلم، فحاول تجاهل الطلب ولكن مع إصرار أبو فيصل عليه، خفف من سرعته.

ونظراً لما رأى من إصرار أبي فيصل على تخفيض السرعة وإغلاق الأغاني، قام بتوجيه سؤالاً إليه يريد به معرفة قبيلته، فلما أجابه بأنه من قبيلة قحطان، قام بمدحه مؤكداً بأنه ما كان ليرادِدُه لو لم يكن كذلك، وانتبه أخونا أبو فيصل لما تحمله عبارته هذه من تقليل لشأننا، فأخبره بأنني صيعري، فما كان منه إلا أن قال كل فيه خير، ثم بدأ ينشد القصائد وأبو فيصل يردد خلفه، وفي الحقيقة كان نشيده جميل و قصائده جميلة و ذات معنىً جميل.

وعندما مررنا عند محطة بنزين، توقف للتزود بالوقود وطلب منا دفع قيمته مشيراً إلى أنه بالعادة يتقاضى أجرته مقدماً ولكنه خجل منا نوعاً ما فلم يطلبه، ولما كان المبلغ أقل من أجرته فقد قام أبو طلال بدفعه.

بعد أن انتهى من التزود بالوقود انطلق بالسيارة، وهو يتحدث عن كونه صاحب السيارة وأن له مطلق الحرية في أن يفعل ما يشاء في سيارته من سرعة وتشغيل للأغاني، وكأن الركاب ليس لهم في نظره أية قيمة.

وفي الطريق بادرنا بسؤال غريب، إذا سألنا عما إذا كان من بيننا عميد أو ..... ؟! ، وأضاف بأنه أحياناً ما يركب معه من أصحاب الرتب العالية التي سألنا عنها، فيقوم بإنزالهم وتركهم في الطريق عندما يختلفوا معه، قائلاً بأنهم

يهددونه باتخاذ إجراء معه، فيقوم بتزويدهم بأسمه الكامل متحدياً إياهم بأن يركبوا أعلا ما في خيلهم.

كان زملائي ينصحونه ويحذِّرونه من السرعة الزائدة وما قد تتسبب له فيه من مخالفات مرورية بتكاليف باهظة، وبدلاً من أن يقتنع أخذ يتذمر من تدبيل المخالفات على المعسرين، وهكذا عندما وصلنا مدخل مدينة الدمام التقطته كاميرا ساهر بسبب تجاوز السرعة مما يعني بأنه لن يستفيد من أجرة المشوار إذ ستكلفه المخالفة أكثر من قيمة الأجرة.

بالنسبة لي فقد كنت منذ ركبت السيارة ملتزماً للصمت بسبب المفاجأة وعدم تعودي على التعامل مع أناس من هذه النوعية، أما زملائي فقد أدركوا نوع شخصية هذا السائق فأخذوا يُسايرونه حتى ينتهي المشوار على خير.

ولكي يستفيد من تجربة سائق أجرة كنا قد قرأنا تجربته عبر رسائل الواتساب، طلب مني أبو طلال أن أحكيها له، ولكني التزمت الصمت، فقال خلوه في أحلامه يحلم، هههه، فقام زملائي بقص القصة عليه ولكن بلا جدوى.

وهنا خطرت على بال أبي طلال فكرة، فقال للسائق سوف نختصر عليك الطريق فبدلاً من ثلاث محطات تَوَقُّف سوف نكتفي باثنتين وسوف أقوم بإيصال صاحبي (يقصدني) إلى النقطة الأخيرة، وهنا انزاح عني هم ثقيل، إذ لم أكن واثقاً كيف سينتهي الأمر بيني وبينه بعدما يغادر زميلاي.

وبالفعل أوصلنا زميلنا أبا فيصل بالأول، وللأمانة أراد السائق المساعدة في إنزال العفش غير أن أبا فيصل أقسم بالله عليه أن لا يفعل، فالتزم الرجل بقسم أبي فيصل وكان واضحاً عليه الإعجاب بشخصية أبي فيصل فودعه بقوله: في أمان الله يا أبا قحط، وهنا ودعنا زميلنا وانطلقنا إلى محطة التوقف التالية.

وعندما وصلنا قام الرجل بالمساعدة في تنزيل باقي العفش واستلم باقي أجرته وودعنا وانطلق في طريقه، وهنا قال لي أبو طلال: لم أكن لأتركك

تذهب معه لوحدك، فقلت له للأسف هذه إحدى الحالات الميؤوس منها، فوافقني أبو طلال، ثم أوصلني إلى منزلي وأقفى راجعاً إلى منزله جزاه الله خيرا.

الخلاصة

لقد كانت هذه تجربة ما كان ينبغي لنا أن نخوضها ولكن الله قدر و مَرَت علينا نحن الثلاثة، فقد كان معنا عفش كثير ونحتاج لسيارة كبيرة ولم تكن لدينا خيارات أخرى، وإلا فقد كان من الأفضل والأسلم والأكثر أماناً استخدام سيارات الأجرة الموثَّقَة باستخدام تطبيقات مثل "أوبر Uber" أو "كريم Careem".

قصة تايه وأخيه

في ختام هذا الجزء الأول من كتيب " قَصَصٌ من الحياة" اقدم للقراء الكرام هذه القصة التي كتبتها من وحي مخيلتي ولكن من خلال الواقع المشاهد، وهي بذلك تختلف عما كتبته من قصص وروايات أخرى سبقتها والتي كانت تعبر عن قصص حقيقية عايشتها بنفسي أو نقلتها عن من عايشها ورواها لي.

الجزء الأول

كان تايه واخوه طفلين صغيرين لعائلة متوسطة الحال، وكان تايه هو الأخ الأكبر بينما كان أخوه يصغره بسنة واحدة، وكانا وحيدي أهلهما، نشأ الطفلان كباقي أقرانهم يلهون ويمارسون أنواع اللعب البسيطة مع أبناء الجيران بالقرب من المنزل.

وكان من الملاحظ على تايه اهتمامه الشديد بكل أنواع اللهو وعدم التفاته لغير ذلك مما يدور حوله، بينما كان أخوه على عكسه فكان منتبهاً لكل ما يدور في محيطه حتى أثناء اللعب، كما كان تايه كسولاً يتهرب من أي عمل يطلب منه، بينما كان أخوه يحب المساهمة في أي عمل يطلب منه أو تتاح له الفرصة لممارسته.

استمر الوضع على هذه الحال إلى أن بلغ الطفلان مرحلة دخول المدرسة، فدخل تايه المدرسة وبعده بعام دخلها أخوه، وهكذا استمر تايه متقدماً على أخيه بعام دراسي حتى الفصل الخامس، كان تايه ضعيفاً في دراسته نظراً لعدم تركيزه مع شرح المعلم في الفصل وانشغاله بما لا يفيده، فكان نجاحه يتم في كل عام بصعوبة إلى أن وصل إلى الفصل الخامس حيث لم يستطع النجاح والانتقال للفصل السادس، بينما انتقل أخوه من الفصل الرابع إلى الخامس فأصبحا زميلان في نفس الفصل الدراسي.

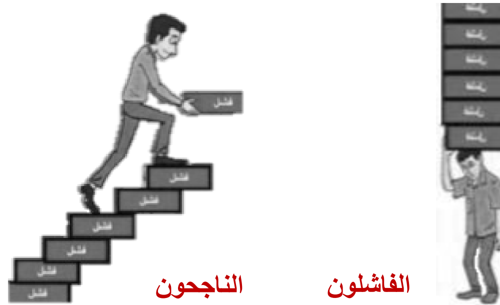
استمر الأخوان معاً في تنقلهما من فصلٍ إلى فصل، غير أن تايه كان يعتمد كثيراً على مساعدة أخيه له في الشرح وحل الواجبات ولكن في أضيق

الحدود فقد كان تايه يتهرب من قضاء الوقت على الدراسة حرصاً على الذهاب للعب، ولذلك كان ينجح دون أن يتعلم أو يفهم بالمستوى المطلوب، ومع التقدم في المراحل الدراسية بدأت الفجوة تتسع بين تايه و أخيه.

بعد التخرج من المرحلة المتوسطة توقف تايه عن مواصلة الدراسة واستبدلها بأصحاب في مثل وضعه، ولم يصغِ لنصح والديه وأخيه، بينما استمر أخوه في تحصيله العلمي إلى أن تخرج طبيباً وحصل على وظيفة محترمة في إحدى المستشفيات الكبيرة، وبعد فترة من الزمن اشترى منزلاً جميلاً ثم تزوج ورزق ببنين وبنات وهكذا استمر من نجاح إلى نجاح.

أما تايه فقد كان له من أسمه نصيب حيث مضى به العمر وهو تائه بلا هدف ومن فشل إلى فشل لا يعرف ماذا يفعل أو إلى أين يتجه، فمؤهله التعليمي لا يؤهله للحصول على وظيفةٍ مرموقة كما أنه لا يقبل بالعمل في وظيفةٍ متدنيه، مما اضطر أخاه الطبيب إلى العمل على مساعدته أكثر من مرة ليقف على قدميه ويعتمد على نفسه ليشق طريقه في الحياة، فتارة يقدم له المال ليبدأ مشروعاً ما وتارة يدبر له وظيفةً من خلال علاقاته ولكن دون جدوى فاللا مبالاة ظلت طبيعة لتايه.

استمر الأخ الطبيب بمساعدة أخيه تايه حتى تعب منه فاستسلم ورفع يده عن أمر أخيه وتركه لمدرسة الحياة لعلها توَعيّه فيتخرج منها شخصاً آخر وقد صقلته تجارب الحياة وتعلم درساً بل دروساً من تجاربه وفشله المتكرر، فالعيب ليس في الفشل ولكن العيب كل العيب في الاستمرار بالفشل وعدم التعلم من التجارب الفاشلة.



في ختام هذا الجزء من حكاية تايه وأخيه آمل أن تكون قد حازت القصة على استحسانكم، وأن أكون قد وفقت لإيصال الرسالة من خلالها لكل من يسعى لتجنب الفشل في حياته

——— (من تعليقات القراء عند نشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي) ———

- قصة جميلة .. وهي تحاكي من واقع الحياة .. فالحكمة أن الجد يجلب الخير والمنفعة وبالتالي النجاح وعكسه الإهمال وعدم المبالاة فان نتيجتها الفشل وعدم القدرة على مواجهة الحياة. [أنور سالم الصيعري]
- قصة جميلة تحكي واقع مشاهد، ولكن اغلب امثال تايه عادة لا تتعلم وتستمر في الفشل ملقية اللوم على كل شي إلا نفسه. [حسين علي الحبيش]
- الله المستعان، المشكلة أن تايه يزوجونه لأن أهله طيبون، ثم تتعب زوجته و يتعبون عياله، ليته إذا تاه يتيه عن الزواج إلى أن يلقون له علاج. [حسين علي الحبيش]

الجزء الثاني

سوف نستكمل بإذن الله تعالى في هذا الجزء ما تبقى من قصة حياة تايه لمعرفة ما جرى له وكيف انتهى به الأمر.

كُنا قد رأينا في الجزء الأول من قصة تايه وأخيه كيف أن بدايتهما كانت عادية كغيرهما من الأطفال، وكيف بعد ذلك بدأ كلٌ من هما يشق طريقه الخاص به وكيف تباعدت بهما الطرق إلى أن انتهى الأمر بـ تايه تائهاً في حياته ومن فشلٍ إلى فشل، على عكس أخيه الأصغر الذي صار طبيباً و من نجاحٍ إلى نجاح.

وإن المتأمل في وضع تايه وكيف قضى حياته يجد أنها قصة متكررة في كل زمان ومكان، وقد تحدث عنها الكثير من الحكماء فلخصوها في أقوال معبرة

لعله يستفيد منها من يستفيد فلا يتيه في حياته كما تاه تايه، نذكر من تلك الأقوال ما يلي :

- من ابتعد عن الوسادة، اقتربت له السيادة
- ومن لزم الرقاد، حُرم المراد
- ومن أكثر النوم، سبقه القوم
- ومن ترك العمل، تركه الأمل
- والقمة تقول (قم) فالحياة ليست مجرد أحلام، الحياة التزام

والتائهون من أمثال تايه ينقسمون إلى قسمين: قسم لا يتعلم من أخطائه وإن ادعى ذلك، ولا هو بالذي يتعلم من أخطاء الآخرين ليتجنب الوقوع فيما وقعوا فيه، وهكذا يستمر في فشله ملقياً باللوم على كل شيء إلا نفسه، وقد قيل: البخيت من اتعظ بغيره والغبي من اتعظ الناس به.

وهناك قسم آخر أفضل من السابق، حيث يوفقه الله عند لحظةٍ ما ليقوم بمراجعة نفسه فيعيد تقييم مسار حياته وما آلت إليه مستشعراً بذلك خطأه فيما سلف فيقرر أن يتغير و يغير من حاله، فصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل: إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... [الرعد: ١١]

نعود لبطل قصتنا تايه لنرى ما حصل معه، فعندما رأى والدا تايه حال ابنهما لم يعجبهما التيه الذي يعيشه، فأخذا يفكران ما عساهما يفعلان لإنقاذه فلعل الله أن يصلح من شأنه، وهنا تبادرت لذهنيهما فكرة تزويجه لعله عندما يرتبط بزوجة وتصبح لديه أسرة يضطر إلى العمل الجاد للعناية بأسرته.

تم لهما ما أرادا، فقد تقدما لخطبة فتاة من إحدى الأسر المعروفة لديهم، ونظرا لسمعة أهل تايه الطيبة رحب أهل الفتاة بهم وقبلوا تزويج ابنتهم لـ تايه ظناً منهم بأنه يحمل نفس المبادئ والقيم، وهكذا تم الزواج فأصبح تايه مسؤولاً ليس عن نفسه فقط بل وعن زوجةٍ كذلك.

تزوج تايه وكان يعمل في وظيفة بسيطة لا يكاد دخلها أن يفي بمتطلباته وزوجته مما اضطره للسكن مع والدته بعد وفاة والده رحمه الله، وبعد عامٍ

من الزواج رُزق تايه بمولودته الأولى ففرح بها أشد الفرح غير أن مصروفات الطفلة اجتمعت عليه مع غيرها فتجاوزت قدرة راتبه الضعيف، حاول تايه جاهداً البحث عن عمل بمرتبٍ أفضل ولكن دون جدوى فمؤهله الدراسي لا يؤهله، فنتاج تفريطه في الماضي يجني حصاده اليوم.

بعدما ضاقت السبل بِـ تايه وخصوصاً أن أخيه كان قد رفع يده عنه بسبب عدم مبالاته وعدم تقديره لما يقدمه له، أخذ يفكر تايه في مخرج من أزمته وبدلاً من تصحيح مساره، حيث بدا له أن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً فيما هو في حاجة لحلول سريعة، بدأ يخطط للسرقة من أموال الشركة.

وفي أحد الأيام سنحت الفرصة لِـ تايه حيث طُلب منه إيصال مبلغاً من المال لأحد العملاء الذين يزودون الشركة بما تحتاج إليه، وما كان ذلك إلا لثقتهم فيه المبنية على سمعة أخيه وأهله الطيبين، وهنا لعب الشيطان بعقله واتبع هوى نفسه فبدلاً من إيصال المبلغ أدعى بأنه تعرض لعملية سطو وتمت سرقة المبلغ منه.

تم تحرير بلاغ لدى الجهات المعنية حول عملية السطو المزعومة، ومع عمليات التحقيق تضاربت أقوال تايه مع الحقائق على الأرض فانكشف أمره وتم الحكم عليه بالسجن إلى أن يعيد المبلغ، وقد أدى ذلك بأهل زوجته لأن يطلبوا منه تطليق ابنتهم فهم لا يشرفهم أن يكون زوج ابنتهم خريج سجون.

دخل تايه السجن وقضى فيه مدة وهو مصرٌ على أقواله ويدعي بأنه مظلوم، كل ذلك طمعاً بأن يفوز بالمبلغ المسروق إن هو تم الإفراج عنه، طالت به المدة في السجن وفي ذات يوم زارهم في السجن أحد المشائخ الفضلاء وألقى عليهم درساً قيماً عن الحياة الدنيا وما ينتظر الإنسان بعدها من نعيمٍ أو عقاب فجنة أو نار، ودعم الشيخ أقواله بقصص مؤثرة من الواقع ومن تجارب الآخرين وكيف كانت نهاية كل منهم، تأثر تايه بما سمع من الشيخ كثيراً وقرر الاعتراف وإعادة المبلغ فتم الإفراج عنه.

خرج تايه من السجن وقرر أن يتغير تغيراً جذرياً ويعيد حساباته، فأول ما بدأ به هو تغيير الأصحاب، وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك: إِنَّمَا مَثَلُ الجليس

الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكِيْرِ فحاملُ المسك إما أن يُحْذِيَكَ، وإما أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجِدَ منه ريحا طيِّبة، ونافخُ الكير إما أن يَحرقَ ثِيَابَكَ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثَة.

ويا سبحان مغير الأحوال الذي يعلم صدق النوايا وخائنة الأعين وما تخفي الصدور، لقد علم الله من تايه توبته توبةً نصوحا، توبةً صادقة، فسهل له الله ويسر له أموراً لم تخطر له ببال وفتح له أبواباً كانت مغلقة، فحفظ القرآن بفضلٍ من الله أولاً ثم صحبته الجديدة وأصبح مؤذناً لمسجد الحي.

أحبه أهل الحي وأهل المسجد لِما رأوا فيه من حسن الخلق ودماثة المعشر، فعرض عليه أحد رواد المسجد من رجال الأعمال العمل لديه بوظيفة مرموقة وأخذ يعتمد عليه كثيراً ويجزل له العطاء، وعرض عليه تزويجه من ابنته، ولكن تايه فضل العودة لزوجته الأولى وابنته الوحيدة، فتم له ما أراد والحمد لله بعدما رأوا تغير حاله.

أخيراً قرر تايه تغيير اسمه لينسى معه تيهانه في الماضي وأراد أن يختار أسماً يعبر عن وضعه الجديد ولكنه احتار في اختيار الأسم الأنسب، وبينما أنا أختتم هذه القصة حاولت مساعدة تايه ليجد له أسماً جديداً يناسب التغيير الذي حصل في حياته ولكن لم يخطر على بالي أسماً مناسباً، فلعل أحدكم أيُّهَ السادة القراء يستطيع مساعدته مشكوراً.

ختاماً آمل أن يكون هذا الجزء الثاني من القصة قد حاز على استحسانكم كما حاز الجزء الأول، سائلين المولى عز وجل أن يوفق شباب المسلمين وشاباتهم لما فيه خيرهم وخير أوطانهم ورفعة شأن أمتهم.

——— (من تعليقات القراء عند نشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي) ———

- تكملة لقصة رائعة .. جزاك الله خير .. فأما قصة تايه وتوبته الصادقة الى الله والإنابة اليه هي التي جعلت منه رجلا ذو قيمة في الحياة الإجتماعية واستطاع أن يعيد مسار حياته نحو الهداية والرشاد بعون الله

تعالى، والمرء عندما يبدل حياته كليا نحو الأفضل والرقي والسمو تاركا تاريخه المليء بالفشل والانهزامية والتوهان فهو الآن يستحق أن يبدل كذلك إسمه فهو أمام حياة جديدة ملؤها الإيمان والغبطة والنور والسرور والصراط المستقيم وبالتالي عاد الى الله والى اهله وزوجته وولده .. فهو عواد .. يستحق ان يسمى بـ عواد .. لأنه عاد إلى الحق والرشد والثبات .. ندعو لـ عواد بالثبات على الدين .. [أنور سالم الصيعري]

- قصة جميلة وتعني أن الفشل ليس نهاية الحياة، قد يكون الفشل دافع وانطلاقه الى عالم آخر مليء بالنجاحات وعدم الانهزامية والاستسلام، ويفضل تغيير اسم تايه إلى شجاع، لأن إدراك الخطأ والاعتراف به شجاعة والتحول من الفشل للنجاح يتطلب قوة. [ريان المطيري]

حكايات وقصص إنسانية من كتاب حصاد السنين

أقدم للقراء الكرام في هذا الباب قصص وحكايات سبق لي نشرها ضمن مذكراتي في كتاب حصاد السنين كونها قصص من الحياة تندرج تحت عنوان هذا الكتيب.



حكايات وقصص إنسانية

هناك العديد من المواقف العارضة في حياتنا والتي تستحق التفكر والتدبر لما فيها من حكمٍ وعِبر، وسنتحدث هنا عن بعض ما أتذكره من مثل تلك الحكايات التي حدثت معي.

في المسجد الحرام وتريد مصحفا

هذه إحدى القصص التي كلما تذكرتها أشعر بغصة لما فاتني من حسن التصرف في حينها، حيث كان قد عرض علي ذات مرة أحد أصحاب المكاتب العقارية والذي كنت قد تعرفت عليه من خلال مكتبي العقاري ويدعى "ابراهيم الغامدي"، أن نذهب سوية لأداء العمرة في أحد أشهر رمضان الفضيل.



بالفعل ذهبنا سويةً وأدينا مناسك العمرة والحمد لله، وبينما أنا جالس أنتظر في أحد الأماكن داخل الحرم الشريف ومصحفي في يدي، وإذا بفتاة تتقدم نحوي وتخاطبني باللغة العربية الفصحى بقولها "أريد أن استوهب مصحفاً"، فأخبرتها بأني لا أعرف كيف ووجهتها إلى بعض رجال شرطة الحرم القريبين منا لعلهم يستطيعون إرشادها.

ذهبت الفتاة إلى رجال شرطة الحرم القريبين وأنا أنظر وأشاهد ما يحدث ولكني لم استطع التحقق من النتيجة، غير أني وبعد فوات الأوان انتبهت فتمنيت لو أني أعطيتها مصحفي الذي كان بيدي، ولا زلت أشعر بغصة كل ما تذكرت تلك القصة على ما فرطت به من أجر.

عندما تثمر الكلمة الطيبة



أثناء زيارتي لأهلي في ميناء سعود خلال إحدى الإجازات، حصل معي موقف من أجمل المواقف التي مرت بي في حياتي، لقد كان موقفاً قصيراً من ناحية الوقت الذي استغرقه ولكن كان كبيراً من ناحية النتيجة التي أثمرها.

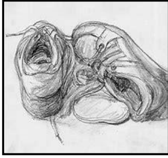
حدث هذا الموقف بعد صلاة العصر، أثناء عودتي من المسجد إلى بيت الأهل في ميناء سعود، فبينما أنا أسير في الطريق إذ مررت بمنزل أحد الجيران الخيرين محمد بن ابراهيم آل طالب الفضلي (أبو ابراهيم) رحمه الله، ولما شاهدته يقوم ببعض الأعمال أمام بيته، توجهت إليه لأؤدي واجب التحية والسلام بعد فترة الغياب والانقطاع.

رحب بي أبو إبراهيم وكان يعزني ويقدرني فوجَّهَ لي الدعوة مشكوراً للسمر عنده في بيته بعد صلاة العشاء، فوقعت في حيرة شديدة ماذا عساي أن أقول، فقد كان من الصعب رفض دعوة رجل مثله وخصوصاً أنني كنت أعلم أنها نابعة عن محبة وتقدير، وكان سبب هذه الحيرة ناتج عما عرفته في حينه من وجود خلاف بين والدي وأبا إبراهيم رحمهما الله.

والحمد لله وبتوفيق منه ألهمني الله إجابةً موفقة، إذ أجبته بما معناه: "بأنك غالٍ عندي ومن الصعب علي رفض دعوتك وفي نفس الوقت أخشى قبولها فأغضبُ والدي"، ليأتي جوابه رحمه الله أجمل وأروع، إذ قال لي: "لقد زاد غلاك عندي".

وفي المساء وبينما كنت مع الوالد رحمه الله في سمرة عند زوج أختي مرزوق العزاز رحمه الله، وإذا بأبي ابراهيم رحمه الله يفاجئنا بقدومه ويبادر بالصلح مع الوالد ويوجه لنا الدعوة جميعاً للسمر عنده في الليلة التالية، فما كان لنا إلا قبول الدعوة الكريمة، وهنا لمست كيف تثمر الكلمة الطيبة حيث أدت لهذه الحادثة الجميلة والمعبرة، ويا سبحان الله العلي العظيم فجميع من بالقصة انتقلوا إلى رحمة الله ولم يبق منهم غير محدثكم، ولا نعلم متى نلحق بهم نسأل الله حسن الخاتمة لنا ولكم.

حذاء الطفل الممزق



كنت قد طلبت ذات مرة من صديقي وأخي العزيز "عبدالله الماس البلوشي" أن يدلني على محلات خياطة للأحذية، فقام مشكوراً باصطحابي إلى أحد تلك المحلات، وفي أثناء تواجدنا بالمحل، وإذا بطفل صغير في السن يجر حذائه المهترئة ويدخل المحل ليطلب من العامل فيه خياطته، ولكن العامل قال له ما معناه، بأن الحذاء في حالة سيئة جداً ولا يمكن خياطته، وهنا قرر الطفل الانسحاب بهدوء وقد بان على وجهه الشعور بالخجل لوجودنا.

وهنا تصرف زميلي عبدالله جزاه الله خير الجزاء بتصرفٍ أعجبني ونبهني لما غاب عن بالي، إذ خاطب الطفل قائلا: يا ولدي اختر لك حذاءً جديداً على حسابي، لم يتبادر لذهني أن أفعل مثل هذا، غير أنه نبهني فأصررت على مشاركته بالأجر، فتهلل وجه الطفل وأخذ له حذاءً جديداً وغادر المحل وقد بدا السرور على مُحياه.

الفضلي وفضله علي





بينما كنت لا زلت طالباً في المرحلة المتوسطة، وبطبيعة الحال مقيماً عند أهلي في ميناء سعود، حصل معي موقفٌ لا يزال يتكرر في مخيلتي من وقت لآخر وقد تعلمت منه أمراً جميلاً حثنا عليه دين الإسلام ألا وهو إفشاء السلام، قال ﷺ : أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْل وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ ، وكما ترون فعلى بساطته إلا أن أثره عند الله والناس عظيم.

وإليكم القصة، ففي أحد الأيام اجتمع الجيران والمعارف عند الوالد رحمه الله لتناول القهوة وتجاذب أطراف الحديث، وكنت أقوم على خدمتهم بحكم أنني أكبر إخوتي الذكور الذين كانوا لا يزالون صغاراً في ذلك الحين.

وبينما كنت أقوم على خدمتهم كنت أتردد ما بين الدخول والخروج لجلب ما تدعو إليه الحاجة، وهنا انتبه إلي أحد الجيران الخيرين وهو محمد بن إبراهيم آل طالب الفضلي (أبو ابراهيم) رحمه الله، إذ لاحظ أني لا ألقي السلام عند دخولي المجلس عليهم.



أراد أبو إبراهيم تعليمي إفشاء السلام بأسلوبٍ جميل، فكان يبادرني بإلقاء السلام كلما دخلت عليهم، وكنت أرد عليه وابتسم لإدراكي بأنه أنا من يجب عليه إلقاء السلام، فالسلام يكون من الماشي على الواقف ومن الواقف على الجالس وهكذا.

المهم أنه مع تكرار مبادرته بإلقاء السلام في كل مرةٍ أدخل عليهم فيها بدأت أبادر بإلقاء السلام، واليوم وبعد أن شاب مني الرأس لازلت اتذكر هذا الموقف وقد أصبح من عادتي إلقاء السلام على من أعرف ومن لا أعرف، بل إنني لا أستطيع أن أمر على أحد أو أبدأ الحديث معه دون أن ألقي عليه السلام، والفضل في ذلك بعد الله يعود إليه رحمه الله، فجزاك الله عني خير الجزاء على ما علمتني يا أبا إبراهيم وجعلها في ميزان حسناتك.

الحَبَلَّصْ و درس إنساني لم ولن أنساه

جرت أحداث هذه القصة في ميناء سعود، تلك القرية الهادئة المطلة على الخليج العربي، بينما كانت لا تزال في عز تألقها، وكان قد مضى وقت ليس بالقليل على مغادرتي لها، حيث كنت قد انتقلت إلى مدينة الدمام للعمل ومن ثم إلى الولايات المتحدة للدراسة مبتعثاً من قِبل بترومين للتسويق.

كنت أدرس في الفصل الصيفي ثم أعود لزيارة الأهل والأقارب خلال شهر الإجازة أغسطس الفاصل بين فصلي الدراسة، الصيف والخريف، وبطبيعة الحال فالحياة لا تتوقف لأحد، وهكذا بدأت الوجوه تتغير حيث نشأ جيل جديد وغادر من غادر وأتى من أتى من السكان الجدد.

وفي إحدى المرات عندما عدت خلال فترة الإجازة الدراسية لزيارة الأهل في ميناء سعود، وجدت رجلاً كثيف اللحية والشارب، شديد سواد الشعر، وكان من يراه للوهلة الأولى يشعر بوجود مشكلة لديه من خلال تصرفاته الغريبة والتي قد تكون نوعاً من التخلف العقلي فيما يظهر، والله أعلم.

كان يلبس عدة ثياب بألوان متعددة فوق بعض في نفس الوقت، فكان مظهره يبدو غريباً بعض الشيء، وذات مرة شاهدته في المسجد يخلع بعضاً من ثيابه دون أن يأبه لوجود الناس، فيما بدا لي بأِنه يقوم بتغيير ملابسه وذلك بإعادة ترتيب الملابس فوق جسده.

لم أكن أعرف أي شيء عن الرجل، غير أني كنت أشاهد الأطفال يلاحقونه في الشوارع و يجرون خلفه وهم يرددون كلمة "الحَبَلَّصْ"، لم أكن أعرف معنى هذه الكلمة، وهل هي اسمه أم لقبه، غير أني كنت أتعاطف معه في قلبي و وجداني دونما يصدر مني أي تصرف تجاهه أو فعل شيء لمساعدته، ولكن يبدو والله أعلم بأن الرجل كان يستشعر هذا التعاطف، كيف؟، لا أعلم، أما أنا فكنت استشعر شعوره تجاهي من خلال نظراته إلي.



وفي ذات يوم حدث موقف لم ولن أنساه ما حييت، بالرغم من مضي ما يقارب الـ ٣٥ عاما على تلك الواقعة، ونحن اليوم وأنا أكتب أحداث هذه القصة في عام ١٤٣٨هـ ٢٠١٦ م، حيث كنّا نقف في صفٍ أمام فرن الخباز الإيراني، وكنت أقف خلفه وبيني وبينه بضعة أشخاص، ولما أتى دور "الحَبَلَّصْ" أخذ يتوسل للخباز بأن يعطيه خبزاً أو مزيداً من الخبز بدون مقابل، وشعرت حينها بأنه واقع في ورطة، فقد يكون مُرسلاً ليأتي بالخبز وأضاع النقود أو تصرف بها والآن يخشى من العقاب إن عاد إلى المنزل بدون كمية الخبز المطلوبة، رفض الخباز إعطائه خبزاً بدون مقابل، وللأسف الشديد لم يتبادر لذهني أو ذهن أحدٍ من الحضور في تلك اللحظة، أن يدفع عنه ذلك المبلغ الزهيد، لإدخال السرور على قلب ذلك المسكين، وحل المشكلة، ولكن ما خطر على بالي في حينها لمساعدته، هو إعطاء إشارة بيدي للخباز من خلف الحَبَلَّصْ، لتنبيه الخباز لحالة الحَبَلَّصْ العقلية لعله يحن ويتكرم عليه، وهنا كانت صدمتي شديدة، عندما لاحظ الحَبَلَّصْ إشارتي فَلتفت إليَّ قائلاً " الله يسامحك، أنا مجنون !!!".

لا يزال ذلك المشهد يتردد كثيراً في ذهني حتى هذا اليوم، فلقد صدمتني عبارته المفاجئة والغير متوقعة ولقنـتـني درساً لن أنساه ما حييت، وهو أن على الإنسان أن يحذر في كل ما يصدر منه سواءً كان فعلاً أم قولاً، وأن لا يستصغر ويستبسط بعض العبارات والإشارات التي قد تجرح إنساناً آخر دون أن يقصد.

فهناك بعض العبارات البسيطة التي غيرت مجرى حياة أناس
إما إيجاباً فدفعتهم نحو القمة أو سلباً فرمت بهم نحو الهاوية

وبعدما نشرت هذه القصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي قرأها أحد الزملاء فأرسل لي هذا التعليق: "ابا عبدالرحمن، انا أعرف الحَبَلَّصْ هو من قبيلة ... وهو معروف بما ذكرته ولا شك ان عنده خلل ما، وكان الأطفال

عندنا في ... يركضون وراءه ويصيحون باسمه الحَبَلَّصْ الحَبَلَّصْ وهي تعني اسم ..."

فيا سبحان الله
كم هذه الدنيا صغيرة !!!

توفي نمر رحمه الله

كنت قد بدأت تشييد منزلي في الفترة القليلة التي سبقت حرب الخليج الثانية، المسماة عملية عاصفة الصحراء أو حرب تحرير الكويت (٢ أغسطس ١٩٩٠م إلى ٢٨ فبراير ١٩٩١م)، وبدأتُ عملية الإنتقال إليه أثناء الحرب.

وعلى هامش هذه القصة فإن حرب تحرير الكويت قد شكلت فرصة دعوية بالنسبة لنا سكان الحي، حيث وقع الاختيار على حيّنا لنشر آليات الجيش الأمريكي كمخزن مفتوح تقوم عليه حراسات أمنية، فكنا نقوم بدعوة بعض الجنود إلى منازلنا لتعريفهم بدين الله.

ولكن ما يهمنا في هذه القصة هو الجانب المعبر فيها، كما قال تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [ق- ٣٧] ، حيث كنت أثناء مرحلة تشطيب منزلي أتنقل بين المحلات والمعارض ذات العلاقة، وفي يوم من الأيام ذهبت لمحل متخصص في تركيب الحجر والرخام وبعض الأعمال الخشبية.

وكان البناء في حينها قد استنزف ما لدي من سيولة نقدية، فأحببت أن أستفسر من صاحب المحل وكان رجلاً كبيراً في السن من الجنسية اللبنانية الشقيقة عن إمكانية التقسيط، فأخبرني بما حصل له مع أحد عملائه، حيث كان أحد العملاء يتردد على المحل كثيراً، يشتري بالآجل وبعد فترة يقوم بتسديد ما عليه وهكذا، ولكن وفي المرة الأخيرة اشترى العميل من المحل

بضاعة على أن يسدد قيمتها لاحقاً كما جرت العادة غير أنه لم يعد للمحل من ذلك الحين وحتى تلك اللحظة عند زيارتي لذلك المحل قبل نحو الـ ٢٨ عاماً.

لا أذكر إن كنت أنا من سأل صاحب المحل أم هو من بادر بذكر اسم العميل "نمر الـ..."، فتبادر إلى ذهني شخص يحمل نفس الأسم كان من سكان "ميناء سعود" القرية التي نشأت فيها وإن لم تكن لي به علاقة مباشرة إلا أنه وبحكم صغر القرية فقد كان الناس يعرف بعضهم بعضا، ومن خلال الحديث مع صاحب المحل تأكد لي أن الاسم الذي خطر ببالي صحيح.

عندما علمت اسم الشخص، أخبرت صاحب المحل بأنني أعرفه وقد يكون له عذراً، فالغائب عذره معه، ولعله منعه مانع، كما ذكرت له بأنني أعرف من يستطيع الوصول إليه، وكان في بالي حينها زوج أختي "مرزوق" رحمه الله حيث كما أسلفت أن أهل القرية يعرفون بعضهم بعضا، وهكذا أخذت رقم صاحب المحل ووعدته بالتواصل معه لاحقاً بإذن الله.

وبالفعل توجهت إلى منزل مرزوق رحمه الله وقصصت عليه القصة وسألته إن كان يعلم عن الرجل شيئاً، فأخبرني رحمه الله بأن "نمر" قد توفاه الله وأن له أبناء يقيمون في نفس المجمع الذي يقيم فيه مرزوق رحمه الله، ووعدني بأن يتحدث مع أبنائه ليسدوا دَين أبيهم ليرتاح في قبره من حِمل الدّين، فأمر الدّين ليس ببسيط، حيث ورد عن النبي ﷺ قوله: من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله، رواه البخاري.

وهكذا قام مرزوق بالتحدث إلى أحد أبناء نمر رحمهما الله حول دَين أبيه، إلا أن الإبن رفض وأخلا مسؤوليته من ذلك بالرغم من تذكير مرزوق له بأفضال والده عليه إبان حياته، فصدق الله القائل في محكم التنزيل: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [الأنفال:٢٨].

وهنا أخبرت صاحب المحل بأن وفاة عميلهِ "نمر" كانت السبب في انقطاعه عن السداد، ونقلت له جواب إبنه لعله يسقط الدين عنه، ولما لم يفعل زودته

بعنوان الإبن لعله حينما يستمع لصاحب الدين يقتنع ويرق قلبه لأبيه الذي أصبح تحت التراب، ولكن للأسف الشديد لم يُجدِ ذلك شيئا على ما أذكر.

ولنا في هذه القصة عبرة، حيث أن الناس يُفتنون بحب أموالهم أو أولادهم فيكون ذلك وبالاً عليهم والعياذ بالله، فكم من إنسان حمّل نفسه ذنوباً لأجل أبنائه إما بأكل أموال الغير أو بمُحاباة بعضهم، وعندما يتوفاه ربه لا يحاول أبناءه إصلاح ما فسد لعل الله يتجاوز عن أبيهم، وقد نبهنا رسول الله ﷺ لذلك بقوله: أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ.

وهنا خلاصة القول "إعمل لدار البقاء ما دام في العمر بقية" حيث لا ينفع الندم بعد فوات الأوان، كما قَالَ تعالى: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) [المؤمنون].

وبعد أن قمت بنشر هذه القصة في ٣/ ٩/ ٢٠١٨م ، أبدى أحد القراء استعداده لسداد المبلغ عن نمر رحمه الله، ونظراً لطول المدة ما بين حدوث القصة ونشرها والتي تجاوزت الـ ٢٥ عاما كان لا بد من أن أذهب للتحقق من وجود محل صاحب الدين، ولكن بكل أسف وجدت أن المنطقة قد تغيرت بشكل جذري ولم يعد ذلك المحل موجوداً.

الصاحب الذي بكى عندما ودعني

الجزء الأول

خلال فترة دراستي في جامعة تلسا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن خلال ترددي على المسجد لأداء الفروض وحضور الدورات والمحاضرات تعرفت على العديد من الأشخاص من جنسيات عربية وإسلامية ومن المواطنين الأمريكيين المسلمين، وكان من ضمن هؤلاء الذين تعرفت عليهم رجلٌ عراقي، يدعى هاشم، ويُكنى بأبي أحمد.



صورة للمركز بعدما تم تحويل الكنيسة إلى مركز اسلامي

في البداية كانت علاقتي بأبي أحمد مجدرد علاقة عادية، كسائر الإخوة الذين تعرفت عليهم في المسجد، ومرت فترة طويلة ونحن على تلك الحال، نلتقي في أوقات الصلوات، نتبادل التحية، وربما قليلاً من الأحاديث الجانبية.

وفي ذات يوم كلمني أحد الإخوة الأردنيين، الأخ محمد خير، عن أبي أحمد، وأخبرني بأن أبا أحمد يجد في خاطره كثيراً على جماعة المسجد، وذلك لأنه مرض وانقطع عن المسجد فترةً طويلةً ولم يسأل عنه أحد، مقارنةً بما كان يحظى به آخرون من حفاوة الاستقبال، تأثرت بما ذكره أخونا الأردني ولمتُ نفسي لأنني أيضاً لم أفتقده على الرغم من طول فترة الانقطاع.

أقترح عليَّ الأخ محمد خير، جزاه الله خير الجزاء، أن نقوم بزيارة لأخينا العراقي، وبالفعل لبيتُ الدعوة وذهبنا لزيارته، ففرح بزيارتنا فرحاً شديداً واستقبلنا استقبالاً حاراً، تجاذبنا خلال الزيارة أطراف الحديث، وشرح لنا ما كان يجده في خاطره، ومعاناته التي زادت منها الأوضاع في العراق، حيث كان يضطر للعمل في مهن لا تتناسب مع مستواه العلمي والاجتماعي وذلك

ليسد حاجته وحاجة عائلته ويعف نفسه عن ذل الحاجة والسؤال، فواسيناه وأخذنا بخاطره، وعادت المياه إلى مجاريها، حيث عاد أبو أحمد من جديد لينضم إلى جماعة المسجد.

وقد ترتب على تلك الزيارة، علاقات أخوية بيني وبين الأخ أبا أحمد على المستويين الشخصي والعائلي، فنشأت بيننا صداقة قوية، حيث كنت كثيراً ما اصطحبه بسيارتي معي للمسجد وغيره.

وذات يوم، ونحن متجهون بسيارتي للمسجد، فُتِحَ بيننا حِوارٌ حول أتباع المذهب الشيعي، فكان مما قلت: أن الشيعة لا يصلون معنا في المساجد، وهنا استغرب صاحبي استغراباً شديداً، وقال: كيف يكون ذلك، فهذه بيوت الله، وفاجأني بقوله بأنه شيعي، وأضاف بأن هناك من الشيعة من يحاول معه كي لا يأتي للمسجد عند أهل السنة، عندها أخذت أنظر إليه مشدوهاً، وذلك بسبب طول المدة التي قضيتها معه والتي تقارب السنتين دون أن ألحظ عليه ما يدل على تشيعه، وعندما أمعنت التدقيق بعد ذلك لم ألاحظ عليه غير إسبال اليدين في الصلاة، وهذا أمرٌ موجودٌ لدى أحد مذاهب أهل السنة.

لم تتأثر صداقتنا بعد علمي بكون صاحبي شيعي، وذلك لأني لم أرى منه ما يدعو للتغيّر، فالرجل كان محافظاً على الفروض الخمس وعلى صلاة الجمعة ويشاركنا الافطار الجماعي بالمسجد، كما كان على خلق وأدب جم، إضافة لكونه خدوماً عند الاجتماع في المسجد أو في الرحلات الجماعية.

وبعد أن عرفت حقيقة مذهب صاحبي الشيعي، بدأنا نتحاور حول المذاهب، لكني أعترف بأني لم أكن جيداً في تلك الحوارات، وذلك بسبب المجاملة وخوفي من الوقوع فيما قد يؤذي مشاعره، بالإضافة لقلة معرفتي بالمذهب الشيعي في ذلك الحين مع عدم وجود التـقـنـية المتوفرة اليوم من شبكة معلومات، ومحركات بحث، و يوتيوب، وواتس آب وغيرها، والتي توفر ما يحتاج إليه المحاور من حجج ومقاطع تبين الحق وتكشف الخطأ، استمرينا على هذه الحال إلى حين تخرجي وعودتي للسعودية.

كان صاحبي حريصاً على أن يكون خدوماً وجزءً من الجماعة، حتى أني أذكر ذات مرة وفي إحدى الرحلات الجماعية، بينما كان الآخرون منشغلين باللعب والتسلية، كان صاحبي يقوم بالشوي للجميع، بينما يتردد البعض عليه لأخذ شيء من الشواء كلما جهز شيء منه، ومن ثم يعودوا للعب.

كما أذكر أنه في أحد أيام الإفطار الجماعي بالمسجد، كان لدينا بعض الزوار من خارج مدينة تلسا، وعندما انتهى الجميع من تناول وجبة الإفطار، تطوع صاحبي بجمع الصحون من على سفرة الطعام، وبينما هو على هذه الحال، كان في الجهة المقابلة له، يجلس أحد الضيوف وجهاً لوجه، فنطق في تلك اللحظة بتعليقٍ على الشيعة وهو لا يعلم أن الشخص الذي أمامه مباشرة من الشيعة، كان التعليق يعتبر عادي إلا أنه تسبب في إحراج الجميع، فلم ينبس أحدٌ بكلمة، وعم الوجوم على المكان، إلى أن تنحنح أحد الزملاء من مبتعثي دولة الإمارات ويدعى أبو طالب، قائلاً "أحم..أحم، يوجد شيعة"، فانفرج الموقف، بينما احمر وجه صاحب التعليق خجلاً.



خلال هذه الفترة، كان الدكتور طارق السويدان، إبان تحضيره الماجستير، خطيباً للجمعة، ومناظراً لأصحاب الديانات الأخرى، كما كان يقدم في المسجد دورات ومحاضرات، كانت كل دورة تستغرق ما بين ثلاثة وأربعة أشهر، وكانت كلها عن ظهر غيب، ومن تلك الدورات:

- دورة السيرة النبوية: إبتداءً من إرهاصات بقرب ميلاد النبي وبعثته، إلى وفاته مروراً بكل الأحداث والغزوات التي حدثت في حياته ﷺ.

- دورة فقه السنة: ابتداءً من باب الطهارة إلى باب الجنائز.

- دورة العقيدة الطحاوية: عقيدة أهل السنة، والتي في ختامها حصل موقف بين الدكتور طارق السويدان وصاحبي أبو أحمد، كنت أنا سبباً فيه.

وسنرى بإذن الله في الجزء الثاني
ماذا حصل بين الدكتور طارق السويدان وصاحبي أبو أحمد
وكيف كنت أنا سبباً فيه

الجزء الثاني

كما ذكرت في الجزء الأول من قصة صاحبي الذي بكى عندما ودعني، كان الدكتور طارق السويدان يقدم في المسجد عدة دورات، وكان من ضمن هذه الدورات، دورة العقيدة الطحاوية: عقيدة أهل السنة، والتي في ختامها حصل موقف بين الدكتور طارق السويدان وصاحبي أبو أحمد، كنت سبباً فيه، وسنرى بإذن الله، في هذا الجزء، ماذا حصل بينهما وما هي علاقتي بذلك.

كنت أصطحب معي صاحبي أبا أحمد لحضور دورة العقيدة، كي تتاح له فرصة الاستماع إلى العلم الصحيح، واستمر حضورنا إلى نهاية الدورة، وفي نهاية الدورة نبه الدكتور طارق الحاضرين بأنه سيتحدث في موضوع المذاهب، وكان في ذلك إشارة لصاحبي إن هو أحب أن ينسحب، فالكل كان يعلم أنه شيعي، وهنا شاورته في الأمر و أنا أتمنى أن يختار أن يبقى لعله يستفيد مما يسمع، غير أنه ترك الأمر لي فاخترت أن نبقى لحرصي على أن يستفيد، فأخذ الدكتور طارق يتحدث عن المذاهب الأخرى متفادياً الحديث عن المذهب الشيعي، أعتقدتُ أن السبب في تجنب الدكتور طارق الحديث عن المذهب الشيعي ناتج عن مراعاته لوجود صاحبي لذلك وجهت للدكتور طارق السؤال التالي: وماذا عن المذهب الشيعي ؟.

لست أعلم إن كان الدكتور قد أدرك مقصدي أو لا، غير خشي أن ينقل عنه كلاماً غير دقيق أو فيه لبس، لذا لم يكن هناك مجال للمجاملة ومراعاة المشاعر، فكانت الإجابة صادمة كونها أخذت منحىً علمياً وليس دعوياً، فراعت وجود طلاب العلم ولم تراعي وجود المحتاج للدعوة، فكانت إجابة الدكتور: بأن مذهب الشيعة مذهب ضال، حينها لم يستطع صاحبي السكوت، إلا أنه كان راقيٍ في ردة فعله، فجرى بينهما الحوار التالي:

صاحبي: متعجباً، قال كيف تخطئ على مذهبي، هل ترضى بأن أخطئ على مذهبك ؟!.

الدكتور طارق: سوف أسألك، فأجبني.

صاحبي: موافق على ذلك.
الدكتور طارق: ما تقول في البداء ؟.
صاحبي: لا أعرف ما البداء.

الدكتور طارق: شرح معنى البداء بإيراد قصة حدثت بحسب الرواية الشيعية في زمن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، وهي: أن الإمام جعفر الصادق قال بأن الإمام من بعده إسماعيل، ولكن إسماعيل توفي قبله، وهنا وقعت إشكالية كبيرة تتعلق بأساس من أسس المذهب والذي بني عليه الكثير من المعتقدات الشيعية، حيث يعتقدون بأن الإمام يعلم الغيب، وبما أن الإمام جعفر الصادق قال بأن الإمام من بعده سيكون إسماعيل، وإسماعيل توفي قبله، حسب روايتهم، فقد كان في ذلك تناقض صريح مع هذا الإعتقاد.

وكنتيجة لهذا الحدث، افترقت الشيعة إلى ثلاث فرق، الإسماعيلية: توقفت الإمامة عندهم على إسماعيل، والزيدية: بايعوا زيداً، أخا جعفر، بالإمامة، وقد كان سيبايعه الجميع لولا أنه لم يقبل بسب الصحابة، والإمامية الإثنا عشرية (الجعفرية): جعلوا الإمام موسى الكاظم بدلاً من أخيه إسماعيل واستمروا في ذلك إلى الإمام الثاني عشر، الإمام حسن العسكري (المهدي المنتظر) الذي دخل في السرداب منذُ دلك الحين وهو أبن العشر سنوات، وقالوا مقولتهم: ما بدا لله مثل ما بدا في إسماعيل، بمعنى أن الإمام جعفر لم يخطئ في علمه للغيب ولكن الله هو الذي بدا له أن يغير المقدر في علم الغيب.

صاحبي: كانت إجابته غير متوقعة بتاتاً، حيث قال بكفر من يعتقد ذلك.

بعدها استمر الدكتور طارق في طرح الأسئلة على صاحبي، وصاحبي يكرر نفس الإجابة، بتكفير من يعتقد بهذه المعتقدات، فتفاجأ الدكتور بتكفير صاحبي الشيعي لمعتقدات شيعة وهو على مذهبهم، وهنا يتضح من خلال إجابات صاحبي، بأنه يكاد يكون شيعياً بالإسم أكثر منه بالممارسة والمعتقد.

انتهى الحوار دون تحقيق النتيجة التي كنت أرجوها من وراء طلبي فتح النقاش حول المذهب الشيعي، وفي تقديري فإن السبب في ذلك يعود إلى أنها قد غابت عنا الحكمة في استغلال المناسبة ليكون الخطاب دعوياً.

تقوَّت العلاقة بيني وبين صاحبي أبا أحمد كثيراً، فكنا نتبادل الزيارات العائلية، كما كنا في بعض الأحيان نخرج في رحلات تضم أفراد عائلتينا فقط، لقد كانت بالفعل أياماً جميلة، أما على المستوى الشخصي، فقد حاولنا أن نرتب لنا برنامجاً رياضياً للعب التنس الأرضي، بعد صلاة الفجر، ولكن للأسف لم استطع الاستمرار أكثر من يومين من التجربة، حيث كان يغالبني النوم بعد صلاة الفجر، ولم يوجد لدينا وقت آخر مناسباً لهذا الغرض.

كنت أثق في صاحبي أبا أحمد كثيراً، فعندما أردتُ العودة للسعودية في إحدى الإجازات الصيفية، أعطيته مفتاح الشقة، وطلبت منه أن يأتي لِيذاكر دروسه في شقتي، وذلك حرصاً مني وخوفاً على تعرض الشقة للسرقة إن هي بدت مهجورة لفترة من الزمن، وعند عودتي من الإجازة، أخبرني أبو أحمد بما حصل خلال فترة غيابي، ومن ذلك إتصال صديق كنت قد خسرته بسبب نصيحة من القلب صادقة فُهمت خطأً دون أن أعلم، فكنت استغرب ما كنت أراه من تغير مفاجئ على صاحبي الذي خسرته إلى أن أفهمني أبو احمد، الجانب الآخر، ولهذا قصة سأرويها فيما بعد بإذن الله.

وعندما تخرجت وحان موعد الرحيل، أوكلت إليه تخليص بعض الأمور، فلبى لي ذلك مشكوراً، وعندما حانت لحظة الوداع، بكى وخرَّت الدموع من عينيه، تلك الدموع التي لم أراها في عيون غيره، وبينما عدت أنا إلى السعودية لأكمل مشوار حياتي، لم يستطع هو العودة للعراق بسبب ظروف الحصار والحروب المتتالية التي كانت تتعرض لها العراق، فانتهى به المطاف ليستقر في الولايات المتحدة، ويحصل على الجنسية الأمريكية.

مضت فترة طويلة على مغادرتي الولايات المتحدة منذُ منتصف عام ١٩٨٣م، ولكن لم ينقطع التواصل بيننا عبر الهاتف، وزيارته في منزله

حينما جائتني فرصة لِحضور بعض دورات الساب SAP في الولايات المتحدة الأمريكية.

بعد مغادرتي للولايات المتحدة ومع مرور الوقت، شكلت المواقف التي مر بها مع جماعة المسجد، سبباً للابتعاد من قبل صاحبي عن المسجد وجماعة المسجد حيث لم يجد من يحتضنه، بل كان العكس هو الصحيح وبكل أسف، وقد حز في نفسي ما بلغني من أحد الزملاء لاحقاً عن توجه صاحبي أبو أحمد أكثر فأكثر في اتجاه التشيع، وأنا هنا لا ألومه، بل ألوم من لم يحرص على احتوائه في مجتمع أهل السنة عندما كان يأتي إليهم بملء إرادته، ويقاوم الضغوط التي كانت تمارس عليه.

نصيحة من القلب ولكن

نصيحة من القلب صادقة فُهمت خطأً دون أن أعلم

هناك بيت من الشعر، اشتهر، وهو بيت صادق في معناه وأصبح مضرباً للأمثال، يعرفه الكثير من الناس و يرددونه، ولكن أكثرهم لا يعرفون قائله ولا قصته، ولمن يرغب معرفة القصة الكاملة يمكنه الإطلاع على قصة حب الشاعرة الدقيس عبر البحث في الإنترنت، حيث أنشدت الشاعرة في نهايتها بيتاً من الشعر "النَبَطي" في منتهى الحكمة والبلاغة، أعجبني وهو:

من لا يستشيرك لا تباديه بالشور ... ومن لا يودك سعد عينك فراقه

لم أكن قد سمعت بهذه الحكاية وبهذه الأبيات في حينها، وإلا لربما لم تكن لدينا اليوم هذه القصة التي أرويها من مذكراتي، والآن أترككم مع تفاصيل وأحداث هذه القصة.

في بداية فترة البعثة للدراسة بالولايات المتحدة، كان أحد المبتعثين السعوديين يُظهر لي التودد والتقرب تعبيراً عن رغبته في تكوين علاقة

صداقة معي، فنشأت بيننا بالفعل صداقة خاصة، كان ذلك قبل أن تلتحق بنا عائلتينا، وتحولت إلى صداقة وعلاقات عائلية بعد أن التحقت بنا.


شفروليه، إمبالا

كانت خطوة الاستعداد الأخيرة بالنسبة لي قبل قدوم العائلة، هي شراء سيارة، فطلبت من الأستاذ سالم العايض، الصديق الذي تعرفت إليه منذ بداية قدومي للولايات المتحدة، أن يساعدني في ذلك، فرحب كعادته، فذهبنا سويةً إلى وكالة سيارات قريبة واشتريت سيارة من نوع شفروليه، إمبالا موديل تلك السنة ١٩٧٩، فكانت سيارة جميلة وسعرها معقول.

وعندما حان دور صاحبي ليشتري سيارة هو الآخر استعداداً لاستقبال عائلته، طلب مني مثل ما طلبت من الأستاذ سالم العايض، أن أرافقه لاختيار سيارته، ولما كنت عديم الخبرة في مجال السيارات في ذلك الحين، فقد أبديت له استعدادي لمرافقته إن هو أراد ذلك، ولكني نصحته بأن يستعين بالأستاذ سالم مثلما فعلت أنا، حيث أنه أفضل مني في ذلك بكثير.

أخذ صاحبي برأيي وطلب من الأستاذ سالم مرافقته، بعدها تفاجأت بزميلي وقد أقبل يقود سيارته الجديدة الفارهة، التي كانت موديل نفس السنة ١٩٧٩ أو التي تليها، من نوع شفروليه، مونتي كارلو، كانت سيارة شبابية جميلة ذات بابين فقط، لكن كانت هناك إشكالية، فقد كانت قيمتها مرتفعة، وبسبب التقسيط فقد بلغت قيمتها ما يقارب ثلاثة أضعاف قيمة سيارتي، والمشكلة الأكبر هي أن زميلي مجرد طالب يستلم مكافئة تكاد تكون مساوية لقيمة القسط، فكيف سيتدبر شؤون معيشته وأسرته !!!.



شفروليه، مونتي كارلو

عندما فكرت وقدَّرت كيف سيعيش بمكافأة طالب ويتحمل مثل هذا القسط وفي نفس الوقت يعول أسرة ويتحمل إيجار سكن ومصاريف كهرباء ونحوه، أشفقت عليه وقدمت له المشورة دون أن يطلبها، فشرحت له وجهة نظري ونصحته قائلاً: أعد السيارة حتى لو خسرت الدفعة المقدمة، لكنه لم يقتنع بوجهة نظري ولم يستجب لنصيحتي، وهنا وقع في بالي بأن الأستاذ سالم قد حاول توجيه صاحبي، فلما رأى إصراره على رأيه تركه يفعل ما يشاء ويرغب، إلى هذا الحد يبدو الأمر طبيعياً، فبكل تأكيد لكل شخص كامل الحرية في اتخاذ ما يراه مناسباً له وليس عليه أن يتقيد بآراء الآخرين حتى وإن كان مقصودهم وهدفهم هو مصلحته.

بعدها كنت حينما أزور زميلي في شقته، أجده في بعض الأحيان فاتحاً الشباك، وباب الشقه ومطفئاً جهاز التكييف بهدف ضغط المصاريف لمواجهة التزاماته، لم أحاول تذكيره بنصيحتي له، فقد فات أوانها وليس من الحكمة فعل ذلك، بل قد يتضايق من تكرار الكلام ويعتبره نوعاً من الشماتة.

دارت الأيام، وبدأت ألاحظ بعض التغير على صاحبي، فلم يعد هو نفس الشخص الذي كنت أعهده من قبل، لم أدرك السبب في حينها، بل لم أنتبه في بادئ الأمر لوجود تغير من طرفه، بدأت الفجوة تتسع، وأنا لازلت لم أنتبه لذلك، حتى أتى ذلك اليوم الذي عرضت عليه فيه القيام برحلة عائلية إلى ولاية فلوريدا، فأخذ يماطلني إلى أن مضى جزء من الإجازة وخشيت أن

ينقضي الجزء الباقي دون أن نبدأ رحلتنا، عندها اكتشفت أنه ينوي التوجه شمالاً، حيث يوجد أحد أقاربه وعائلته، ليقضوا الإجازة سويةً.

بطبيعة الحال، له كامل الحرية في اتخاذ ما يراه مناسباً له، ولكن كان يجب عليه إخباري والاعتذار عن مرافقتي وليس تعليقي بالمماطلة، عندها وجدت في نفسي بعض الشيء، وقررت أن أخوض التجربة لوحدي، فهي أول سفرة لي خارج حدود مدينة تلسا وما جاورها، فكانت بمثابة المغامرة بالنسبة لي، حيث لا أعلم إلى أين أذهب وماذا سوف أرى وأواجه، ولكن والحمد لله كانت رحلة موفقة وجميلة استمتعنا فيها كثيراً، وتعلمت منها الكثير أيضاً، فيما يتعلق بالسفر داخل الولايات المتحدة الأمريكية، فكانت فاتحةً، تلتها بعض الرحلات الأخرى.

بعد ذلك حدثت بعض الأمور الأخرى، التي أدت إلى تدهور تام لعلاقتي بزميلي، إلى أن وصلت إلى القطيعة التامة، كل ذلك وأنا لازلت أجهل السبب الحقيقي وراء ما كان يحدث، إلى أن جاء اليوم الذي ذكرته آنفاً في قصة الصاحب الذي بكى عندما ودعني، حيث كنت قد أعطيت مفتاح الشقة لصديقي العراقي أبا أحمد، وطلبت منه أن يأتي لِيذاكر دروسه في شقتي، خلال فترة إجازتي، وعند عودتي من الإجازة، أخبرني أبو أحمد بما حصل خلال فترة غيابي، ومن ذلك إتصال زميلي هذا الذي خسرته وهنا عرفت السبب وهو نصيحة من القلب صادقة فُهمت خطأً دون أن أعلم، إذ كان زميلي يعتقد بأن نصيحتي له بخصوص السيارة لم تكن نصيحة، وإنما غيرة من أن سيارته أفضل من سيارتي، ولنا في ذلك عبرة إذ قال الله جل جلاله:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ [الحجرات : ١٢]

دنيا صغيرة ـ سعيد سالم بردان وجدته

كنت في ميناء سعود أيام طفولتي أذهب مع والدتي حفظها الله لزيارة عائلةٍ لم أكن أعرف عنهم غير اسم رب الأسرة "سالم بردان" ، وكان أهم ما يعنيني في ذلك الوقت هو وجود سيدة كبيرة بالسن "أم سالم" ، كانت امرأة طيبة، وكانت تشعرني باهتمامها وترحيبها وتعطيني بعض الحلويات فأشعر بالسعادة.

دارت الأيام وكبرت وتزوجت ورزقت بأبنتي البكر، ومن ثم ابتعثت للدراسة في أمريكا، فكان ممن تعرفت عليهم هناك شخص لفت نظري أسمه "سعيد سالم بردان"، فتذكرت أن هناك لاعب كرة قدم ضمن الفريق العماني في دورة الخليج يحمل اسم "سعيد بردان"، فإذا به ذلك الرجل، وعندما حدثته عن تجربتي في ميناء سعود مع تلك السيدة الكبيرة، وإذا به يقول لي إنها جدته، فيا سبحان الله، ما أصغرها من دنيا.

دنيا صغيرة - عند استار الكعبة

كان ممن تعرفت عليهم أثناء دراستي بالولايات المتحدة، شاب عراقي ملتزم، نحسبه كذلك والله حسيبه، وكان اسمه محمد الحسيني، أتى لدراسة الطب هناك، وكانت علاقتي به محدودة جداً، نلتقي في المسجد عند أوقات الصلاة، كما أني زرته مرةً واحدة فقط في غرفته بالسكن الجامعي، وبعد أن تخرجت وعدت إلى أرض الوطن انقطعنا عن بعض.

وفي ذات يوم ابتعثت إلى بريطانيا لحضور دورات ساب SAP في مدينة تسمى ردنق بالقرب من العاصمة البريطانية لندن تتعلق بعملي، وكان في هذه القرية مسجد جامع، كنت أذهب إليه لأداء صلاة الجمعة وصلاة العيد، وكان من ضمن الأشخاص الذين قابلتهم في الجامع، شخص لا أعلم إن كانت له علاقته بإدارته أم لا، إلا أني كنت ألحظ مدى تواجده ونشاطه في هذا الجامع، ومما لفت نظري هو اسم عائلته "الحسيني" بالإضافة إلى شكله

الذي يوحي بأنه عراقي، فسألته عن صاحبي في أمريكا، وإذا به يكون أخاه، فيا سبحان الله، ما أصغرها من دنيا.

لم يكن هذا كل شيء، فقد حدث ذات يوم أن كنت في رحلة عمل إلى مدينة جدة، أنا وزميل سوداني يدعى محمد ملك الناصر رحمه الله، فقررنا القيام بعمرة وتوجهنا إلى البيت الحرام، وفي تلك اللحظة التي اقتربنا فيها من استار الكعبة المشرفة، انتبهت لشخص كان أمامي وظهره إلي وهو يهم بمغادرة الطواف منهياً أداء منسكه، لقد كانت لحظةً حاسمة فلو تأخرت ثواني لما أدركته، ولكنه تدبير العزيز الحكيم، أتعلمون من كان الشخص ؟ ، لقد عرفته من قفاه، إنه زميلي محمد الحسيني الذي كان معي في أمريكا، فيا سبحان الله، ما أصغرها من دنيا، من السعودية إلى بريطانيا إلى أمريكا.

لقد كانت فرحة صاحبي محمد الحسيني لا توصف عندما شاهدني، فقد كانت حالته يرثى لها من الهموم التي اجتمعت عليه بسبب الغربة وبلاده التي طحنتها الحرب، فكان لقائنا به بمثابة الفرصة له لينفس بعض الشيء مما في خاطره، فذهبنا معه لغرفته وقضينا معه قليلاً من الوقت قبل أن نودعه وتنقطع أخباره عني إلى هذا اليوم.

أناس تمنيت لو تعرفت عليهم في ظروف أفضل

في يوم الأربعاء ٢٧/ ١٢/ ١٤٣٧ هـ حسب تقويم أم القرى، الموافق ٢٨/ ٩/ ٢٠١٦ م وقبيل أذان الظهر بحوالي النصف ساعة وأثناء توجهي بالسيارة لإنجاز بعض المهام، قدر الله وحدث لي حادث احتكاك بسيط مع سيارة أخرى كانت عابرة من الجهة اليمنى بينما كنت في لحظة تغيير مساري من المسار الأوسط إلى المسار الأيمن، نجم عن الحادث أضرار بسيطة لكلتا السيارتين، والحمد لله كان لدي تأمين ضد الغير وقد تمت تسوية الأمر من خلال شركة نجم المتخصصة في إنهاء إجراءات الحوادث.

ما وددت الحديث عنه هنا ليس الحادث ولكن العبرة من بعض الحوادث تصديقاً لقول الله جل جلاله:

وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [البقرة : ٢١٦].

حيث أنه بمجرد وقوع الحادث توقف كل منا على جانب الطريق مفسحاً الطريق لحركة المرور، نزلت بعد ذلك وتوجهت إلى الطرف الآخر للإطمئنان على سلامته واستطلاع مقدار الضرر الذي لحق بسيارته مقراً بأن الخطأ خطأي بشكل أساسي، ولكني فوجئت بشاب قمة في الأدب وحسن الخلق، فبمجرد ما اقتربت منه أسرع الشاب إلي وهو يبتسم وكأنه يعرفني من قبل (بل دخلني الشك في نفسي بأنه فعلاً يعرفني) وصافحني وقبل رأسي تقديراً لفارق العمر، وبادرني بقوله يا عم إن لم يكن لديك تأمين فلا أريد منك شيئاً، فعظم قدره في نفسي، وأجبته بأنه يوجد لدي تأمين والحمد لله، وعندما انتهت إجراءات معالجة الحادث، أعاد تأكيده لي بأنه لو لم يكن لدي تأمين لما طالبني بقيمة الضرر، فكان جوابي له بأنني ما كنت لأقبل بذلك وأن الأمر كله قضاء وقدر.

ونظراً لما رأيته من حسن خلق ذلك الشاب وخصوصاً أنه كان في طريقه من عمله ليأخذ والدته إلى المستشفى، ولِما علِمته منه، كونه مكافحاً يعمل في أكثر من عمل، فقد رغبت في التعرف عليه فعرفني باسمه: فلان بن فلان العنزي وعرض علي خدماته متى ما احتجت إليها، بل وأفاض علي من كرمه حيث أخبرني بأن لديهم مخيم يجتمعون فيه هو ومحبيه ودعاني لتشريف مخيمهم.

ومن هنا نستخلص بعض الدروس، والتي منها:

- أن الخيرة فيما يختاره الله فهو أعلم من الإنسان بنفسه.

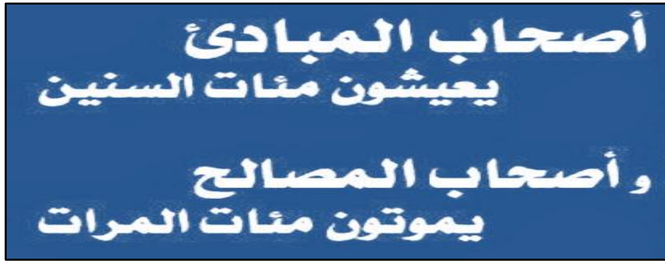
- هناك أناس تتمنى معرفتهم ولكن لحكمة يعلمها الله تكون هذه المعرفة في ظروف تود لو كانت المعرفة في أفضل منها.

- أن الخير والخيرين موجودون في هذه الأمة ولن تخلو منهم أبدا.

- عامل الناس بخلق حسن تكسب الأجر والثواب من الله كما تكسب محبتهم.

ولقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس سمتاً، وأكملهم خُلُقاً، وأطيبهم عشرة، وقد وصفه سبحانه بذلك فقال: وإنك لعلى خلق عظيم [القلم:٤] فما من خصلة من خصال الخير إلا ولرسول الله ﷺ منها أوفر الحظ والنصيب في التخلق بها، وقد وصف الصحابة حسن خلقه ﷺ في أحاديث كثيرة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة [رواه الترمذي]، والعريكة هي الطبيعة.

وفي ختام هذه القصة
أسأل الله عز وجل أن يجعل فيها فائدة وعبرة



إن من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن
تقضي عنه ديناً، تقضي له حاجة، تنفس له كربة

المهندس

ابراهيم آل كلثم الصيعري

- حاصل على درجة الماجستير في هندسة الكمبيوتر من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن الظهران، المملكة العربية السعودية ودرجة البكالوريوس في علوم الحاسب من جامعة تلسا، أوكلاهوما، الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة للعديد من دورات الإدارة و بعض مواضيع الكمبيوتر ذات الصلة بمجال العمل.

- ولدت في عام 1379هـ بمدينة ليلى بمحافظة الأفلاج ونشأت وترعرعت في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت.

- نشأت و الحمد لله على حب المبادئ والقيم الإنسانية أحب الصدق والأمانة وأكره الكذب والنفاق كما نشأت على حب العلم والثقافة العامة والاطلاع على ثقافات الشعوب.

- أهوى الشعر الجميل والحكمة والحماسي .. غير أني لست بشاعر .

- تنقلت بين العمل ومقاعد الدراسة وحيثما تواجدت تركت بصمةً جميلةً حصدت على إثرها خطابات شكر وتقدير ولله الحمد .

- لي عدة مشاركات على صعيد العائلة والعمل والوطن .

تمر بنا في هذه الحياة أحداث وقصص نستخلص منها بعض الدروس والعبر .

وخوفاً من ضياعها ونسيانها مع الوقت فقد ارتأيت جمعها وحفظها في هذا الكتيب الذي اسميته "قص من الحياة ".

ومنها ماوقفت عليه بنفسي ومنها ما استمعت إليه برواية صاحبه أو ناقله فصغتها كتابة لما فيه من فائدة .



ردمك: ٦-١-٢٠٥١-٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨